سلسلة إصدارات دار المهذب للرسائل العلمية (١)

حقيقة الإيمان وأركانه ونواقضه

عند علماء المالكية

تأليف

د/ ريما بنت مقرن بن محمد الشيخ

أستاذ مشارك في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تقديم

أ.د. سليمان بن صالح الغصن

قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المجلد الثاني





د/ ريما بنت مقرن بن محمد الشيخ

حقيقة الإيمان وأركانه ونواقضه عند علماء المالكية

١



دار المهذب

د/ ريما بنت مقرن بن محمد الشيخ

حقيقة الإيمان وأركانه ونواقضه عند علماء المالكية

٢



دار المهذب

سلسلة إصدارات دار المهذب للرسائل العلمية (١)

حقيقة الإيمان وأركانه ونواقضه

عند علماء المالكيّة

تأليف
د. ريما بنت مقرن بن محمّد الشّيخ
أستاذ مشارك في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تقديم
أ.د. سليمان بن صالح الغصن
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الجزء الأول



دار المهذب



ح ريما بنت مقرن الشيخ، ١٤٤٥هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الشيخ، ريما بنت مقرن
حقيقة الإيمان وأركانه ونواقضه. / ريما بنت مقرن الشيخ - ط١. -
الرياض، ١٤٤٥هـ.
ردمك: ٤-٦٧١٧-٠٤-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
ردمك: ١-٦٧١٨-٠٤-٦٠٣-٩٧٨ (ج١)
١- الإيمان (الإسلام) أ. العنوان
ديوي ٢٤٠ ١٤٤٥/٢٨٩٦

رقم الإيداع: ١٤٤٥/٢٨٩٦
ردمك: ٤-٦٧١٧-٠٤-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
ردمك: ١-٦٧١٨-٠٤-٦٠٣-٩٧٨ (ج١)

الطَّبْعَةُ الأُولَى
١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م



شركة دار المهذب للنشر والتوزيع
الكويت - العاصمة - مدينة جابر الأحمد
واتساب : ٠٠٩٦٥٩٨٧٣٠٧٧٦
بريد إلكتروني: Dar.almohathab@gmail.com
تويتر: @dar_almohathab



Daralloloaa@hotmail.com
@Daralloloaa
0096170654460

المديهش



@IBRAHIM_ALMDEHESH

قناة إبراهيم المديهش العلمية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد الله الذي خلق الناس لعبادته، وبعث رسله مبشرين ومنذرين لهداية الناس وإقامة حجته، والصلاة والسلام على أفضل خلقه، وخاتم رسله، الذي أرسله الله بالهدى ودين الحق ليكون رحمة للعالمين، ففتح الله به أعينا عميا، وآذانا صما، وقلوبا غلفا، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهادة حتى أتاه اليقين، وتركنا على البيضاء ليلها كنهارها لايزيغ عنها إلا هالك، وما من شيء يقرب إلى الجنة إلا أمرنا به، ولاشيء يقرب إلى النار إلا نهانا عنه، فطاعته رحمة وهداية، كما قال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [آل عمران:١٣٢] وقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ [النور:٥٤] وبين الله تعالى أن الأسوة الحسنة باتباع الرسول ﷺ فقال: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب:٢١].

وأمرنا النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم باتباع سنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعده كما في حديث العرباض بن سارية قال وعظنا رسول الله ﷺ يوما بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال رجل إن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا يا رسول الله قال أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبد حبشي فإنه من يعش منكم يرى اختلافا كثيرا وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة فمن أدرك ذلك منكم فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ) رواه أبوداود والترمذي وأحمد وغيرهم.

وقد أخبر الرسول ﷺ أنه -مع وجود البدع والمحدثات والانحرافات- فإن طائفة من أمته لاتزال باقية متمسكة بالإسلام الصحيح الوسطي، سائرة على المنهج النبوي

في عقيدتها وعبادتها وسلوكها وسائر أمور حياتها كما في الحديث الصحيح (لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك) أخرجه مسلم وغيره.

وعلى نهج الرسول ﷺ سار صحابته الكرام، ومن اتبعهم بإحسان من عامة المسلمين، وعلماء الأمة الذين قاموا بواجبهم في بيان الدين، والتحذير من سبل المغضوب عليهم والضالين، الذين زاغوا عن الصراط المستقيم، واغتروا بأهواء المبطلين، وزخارف أقوال المفسدين، فاجتهد علماء الإسلام ورثة الأنبياء من خلال دروسهم، وتأليف الكتب والرسائل، وإصدار الفتاوى، في تقرير الاعتقاد الصحيح، والرد على مناهج أهل الضلال.

ومن أشهر علماء الإسلام وأئمة أهل السنة إمام دار الهجرة الإمام مالك بن أنس المتوفى عام ١٧٩هـ الذي سطع نجمه، وشاع ذكره، واشتهر بعلمه وعبادته وفضله.

قال عنه الشافعي: إذا ذكر العلماء فمالك النجم، ولم يبلغ أحد في العلم مبلغ مالك لحفظه وإتقانه وصيانته ومن أراد الحديث الصحيح فعليه بمالك.

وقال أحمد: مالك سيد من سادات أهل العلم، وهو إمام في الحديث والفقه، ومَن مثلُ مالك متبع لآثار مَنْ مضى؟ مع عقل وأدب» (ترتيب المدارك ١ / ١٥٢).

وقد كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ صاحب سنة واتباع، يكره الخوض في الكلام، والحديث فيما ليس تحته عمل، ويحذر من البدع وأهلها، ومن أقواله المشهورة: (السنة سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق) (الهروي في ذم الكلام) (تاريخ دمشق لابن عساكر ٩ / ١٤).

ومما يدل على احتياطه للدين وقطع كل نابتة بدعة

«أنّ مؤذّنا كان إذا همّ بأذان الفجر تنحنح، فقال له الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا تُحدِث في بلدنا شيئا لم يكُن فيه».

وقال ابن الماجشون رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سمعت مالكا رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: «من ابتدع في الإسلام

بدعةً يراها حسنةً، فقد زعم أنّ محمّدا ﷺ قد خان الرّسالة، فإنّ الله يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [المائدة:٣]، وما لم يكن يومئذٍ دينا، فليس هو اليوم ديناً» (الاعتصام للشاطبي ٢/ ١١٩).

ومن مقولات الإمام مالك التي صارت منهجا متبعا وقاعدة سلفية في تقرير العلم بمعاني صفات الرب تعالى، والجهل بكيفياتها قوله حينما سئل عن استواء الله تعالى على عرشه: (الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة) (رواه البيهقي في الأسماء والصفات ٢ / ٣٠٥ وغيره).

وعلى نهج الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الاعتقاد ولزوم السنة سار المتقدمون من تلامذته وأصحابه ومن التزم منهجه من أتباعه إلى وقتنا الحاضر، مثل عبد الرحمن بن القاسم وعبد الله بن وهب وأصبغ وأشهب وابن الماجشون وسحنون وأبو عمر الطلمنكي وعبد الله بن أبي زيد القيرواني وأبوعمر بن عبد البر، وأبوعبدالله محمد بن أبي زمنين وغيرهم كثير.

وقد خالف منهجه بعض المنتسبين إليه كما هي الحال في بعض أتباع سائر الأئمة الذين تأثروا بعلم الكلام، وخاضوا في شبهات أهل الأهواء، لاسيما فيما يتعلق بمصدر التلقي ومنهج الاستدلال، والاعتقاد في صفات الرب تعالى والإيمان والقدر ولزوم السنة

والعجيب ماسرى في كثير من أتباع الأئمة الأربعة ومقلديهم من انتسابهم إلى أئمتهم في الفقه والعمليات، ومخالفتهم لهم في المنهج العقدي في التلقي والاستدلال، حيث سلكوا مناهج أهل الكلام الذين جاءوا بعد أئمتهم من أشعرية وما تريدية وغيرها، غير مستشعرين هذه المخالفة والمناقضة بين منهج أئمتهم الأثري وما ارتضوه هم من المناهج الكلامية البدعية، وصار منهم من يصرح بانتسابه في الاعتقاد لغير إمامه في الفقه، كما في منظومة ابن عاشر:

في عقد الأشعري وفقه مالك وفي طريقة الجنيد السالك

وصاروا يؤولون أقوال أئمة الإسلام كمالك والشافعي وأحمد في الاعتقاد، لاسيما في باب الصفات والإيمان، لتتوافق مع قواعد أهل الكلام، مثلما عمل أهل الكلام على تحريف معاني النصوص الشرعية لتتوافق مع أصول أهوائهم الضالة.

لذا كان من الأهمية بمكان إبراز جهود العلماء السائرين على منهج أئمة الإسلام في التلقي والاستدلال على مسائل الاعتقاد، وهو منهج الصحابة رضي الله عنهم ومن سار على نهجهم فيما تلقوه عن الرسول الكريم ﷺ، كان لابد من إبراز تلك الجهود حتى يشيع المنهج الحق، ويحصل الوفاء لعلماء الإسلام، وتتحصن الأجيال من عقوق بعض المنتسبين للأئمة في فصلهم المنهجي بين اجتهادات أئمتهم الفقهية التي تبنوها، ومنهجهم العقدي الذي خالفوه.

وهذا الكتاب الذي بين أيدينا «**حقيقة الإيمان وأركانه ونواقضه عند علماء المالكية**» الذي أعدته فضيلة الدكتورة ريما بنت مقرن الشيخ، وكان أصله بحثا تقدمت به لنيل درجة الدكتوراه ونوقشت فيه عام ١٤٣٦ هـ وحصلت فيه على تقدير ممتاز.

هو بحق بحث متميز ومهم في بابه لما يلي:

١- أن فيه استقراء لجهود أئمة المالكية في المسائل التي اشتملت عليها تقسيمات البحث.

٢- أبرز البحث مناهج علماء المالكية الذين ساروا على طريقة إمامهم السلفي الأثري، وأظهر كثرتهم وقوة حججهم، وفي ذلك رد على من يحاولون ترسيخ المنهج الكلامي وإلصاقه بالمذهب المالكي وجعله ملازما له.

٣- تضمن البحث نقولا مهمة عن علماء المالكية -حتى ممن كان لديهم تأثر ببعض المناهج الكلامية- في تقرير مسائل من عقيدة السلف الصالح والرد على مقولات المخالفين من أهل الأهواء عبر القرون.

٤- إن من يقرأ النقول التي حواها هذا البحث عن علماء المالكية يدرك تأثير منهج الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أتباعه، لاسيما فيما يتعلق بلزوم السنة، والبعد عن البدع والإحداث في الدين، يظهر ذلك جليا في تقريراتهم وردودهم، حتى ممن حصل منهم بعض المخالفات.

هذه بعض الأمور التي تبرز أهمية هذا البحث، وأسأل الله تعالى أن يجزل المثوبة لكاتبته، ويجعله لها ذخرا، وأن يغفر لجميع علماء الإسلام ويرحمهم، كما أسأله تعالى أن ينفع بهذا الكتاب من قرأه، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه
أ.د. سليمان بن صالح الغصن
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
جامعة محمد بن سعود الإسلامية



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، **أما بعد:**

فإن مباحث الإيمان ومسائله هي أهم المسائل على الإطلاق، فالإيمان «أفضل ما اكتسبته النفوس، وحصلته القلوب، ونال به العبد الرفعة في الدنيا والآخرة»[(١)]، ومن هنا فقد اهتم أهل العلم رَحِمَهُمُ اللَّهُ في بيان حقيقة الإيمان وجميع ما يتعلق به من أركان ونواقض، وبذلوا جهدهم في التأليف والبحث فيه، وبيان الحق لذويه وأهله، والرد على المخالفين فيه.

ومن هذه الجهود المبذولة ما قام به علماء المالكية قديما وحديثا من خلال تصانيفهم ومؤلفاتهم التي كان لهم فيها أقوال كثيرة ونافعة، لكنها متناثرة في بطون كتبهم. ومن هنا أحببت أن أجمع هذه الجهود؛ ليتم الانتفاع بها، وتتسنى الاستفادة منها في رسالة مستقلة تكون بحثا تقدمت بها لنيل درجة الدكتوراه لقسم العقيدة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

والله تعالى أسأل أن ييسر لي طرق البحث فيه إنه جواد كريم.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١- أن الإمام مالك هو أحد الأئمة الأربعة المستفاد من أقوالهم وفقههم بين الأنام ومذهبه رَحِمَهُ اللَّهُ من المذاهب المتبعة في البلاد الإسلامية، وفي جمع أقوال علماء المالكية رَحِمَهُمُ اللَّهُ في بيان حقيقة الإيمان وأركانه ونواقضه ودراستها تجلية لموضوع قل فيه العلم وفشا فيه الجهل، وكثرت مظاهر الغلو والإرجاء فيه من أتباع المذهب نفسه.

٢- أن الإيمان وعلومه من أشرف العلوم، وفي العلم بحقيقته وأركانه ونواقضه

(١) الفوائد، ابن القيم (١٩١)

لدى علماء المالكية إزالة للجهل المنتشر عند كثير من أتباع المذهب في البلاد الإسلامية إضافة إلى كثرة الخائضين فيه من أتباعه بغير علم وبصيرة.

٣- أن من الاعتراف بفضل الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ وسائر علماء المالكية من بعده رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ معرفة جهودهم في بيان حقيقة الإيمان وأركانه ونواقضه، وفي ذلك رد على من زعم بأن العقيدة السلفية خاصة بعلماء الحنابلة فقط أو بالإمام ابن تيمية وابن القيم ومحمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى.

٤- أن في بيان جهودهم الموافقة لمنهج السلف الصالح ردا على كل من انتحل مذهب الإمام مالك ثم خالفه في العقيدة؛ ومن ذلك من يقول: أنا مالكي الفروع والفقه، أشعري الاعتقاد.

٥- أن لعلماء المالكية أقوالا كثيرة نافعة في بيان حقيقة الإيمان وأركانه ونواقضه لكنها متفرقة في مصنفاتهم في التفسير والفقه وغيرها من العلوم وفي جمعها في مكان واحد تيسير لطلاب العلم والباحثين للرجوع إليها والاستفادة منها.

٦- أن هذا الموضوع لم أقف فيه على دراسة علمية تجمع أقوال علماء المالكية في بيان حقيقة الإيمان وأركانه ونواقضه.

أهداف الموضوع:

١- جمع أقوال علماء المالكية في بيان حقيقة الإيمان وأركانه ونواقضه، ودراستها وفق مذهب أهل السنة والجماعة.

٢- نفي ما ألصقه أهل البدع والمخالفون من العقائد الباطلة على علماء المالكية في أصول الإيمان.

٣- دراسة أثر البدع والمخالفات العقدية على بعض علماء المالكية المتأخرين في تقرير أصول الإيمان ونواقضها.

منهج البحث:

سلكت المنهج الاستقرائي التحليلي النقدي.

وبعد فإني أشكر الله تعالى وأحمده فهو المستحق للحمد والثناء على ما يسّر لنا من طلب العلم الشرعي، وسلوك سبل ذلك، ونسأله ألا يحرمنا أجره. ثم أتوجه بوافر

الشكر والدعاء لكل من مد يد العون لي بأي صورة من صوره وأخص بذلك والديّ الكريمين رحمهما الله وعائلتي الكريمة.

وختاما أتوجه بالشكر لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ممثلة في كلية أصول الدين، وقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، وأخص بالشكر فضيلة الشيخ المشرف على الرسالة الأستاذ الدكتور/ سليمان الغصن -سلمه الله- والذي بذل وسعه في إرشادي وتوجيهي وصبره على ذلك، فجزاه الله عني خير الجزاء، وبارك في علمه، وشكر الله سعي الجميع وجعل ذلك في ميزان حسناتهم يوم القيامة.

وبعد.. فهذا العمل الذي أقدمه إنما هو جهد بشري يصيب فيه الشخص ويخطئ، فما كان فيه من صواب فبتوفيق الله، وما كان من خطأ فمن نفسي واستغفر الله وأتوب إليه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

كتبه:

ريما بنت مقرن الشيخ



التمهيد
التعريف بالمذهب المالكي وأبرز علمائه

أولًا: التعريف بالمذهب المالكي:

هو مذهب الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ وسمي أولا مذهب أهل المدينة[1]،ويقال لأصحابه في زمانه أهل الحديث[2].

ويقصد به عند الفقهاء من المالكية: «ما اختص به -الإمام مالك- من الأحكام الشرعية الفروعية الاجتهادية، وما اختص به من أسباب الأحكام والشروط والموانع والحجج المثبتة لها»[3].

إلا أنه تغير عند المتأخرين [4] من المالكية حتى أصبح المذهب المالكي: «ما قاله هو وأصحابه على طريقته، ونسب إليه مذهبًا؛ لكونه يجري على قواعده وأصله الذي بنى عليه مذهبه، وليس المراد ما ذهب إليه وحده دون غيره من أهل مذهبه»[5].

ومذهب الإمام مالك هو مذهب أهل المدينة[6] دار السنة ودار الهجرة، وهو مذهبهم في زمن التابعين وتابعيهم، وهو أصح المذاهب في الأصول والقواعد آنذاك[7]

---

(١) انظر: الفتاوى (٢٠/ ٣٢٤-٣٢٦).

(٢) انظر: المذاهب الفقهية الأربعة لأحمد باشا(٦٤)

(٣) الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام للقراء في (٢٠٠).وانظر: الاختلاف الفقهي في المذهب المالكي لعبد العزيز الخليفي (٤٣-٤٧).

(٤) أول طبقات المتأخرين في اصطلاح المذهب ابن أبي زيد، ومن بعده، والمتقدمون من قبله. انظر: المدخل الوجيز في اصطلاحات المذهب للزيلعي(١٨).

(٥) حاشية العدوي على الخرشي للعدوي (١/ ٣٥)، وانظر: اصطلاح المذهب عند المالكية لمحمد علي(٢٣).

(٦) انظر المذاهب الفقهية الأربعة(٦٤).

(٧) انظر الفتاوى(٢٠/ ٣٢٨).

وهم أقرب إلى الكتاب والسنة من غيرهم[(١)].

ثانيًا: أصول مذهب الإمام مالك:

اختص مذهب الإمام مالك بجملة من الأصول والخصائص التي ميزته عن بقية المذاهب، وإن كان قد يشاركها في بعضها، **وهذه الخصائص متعددة أذكر منها ما يأتي:**

١- الاهتمام الشديد بالاستدلال بالقرآن والسنة والآثار الصحيحة؛ قال البهلول ابن راشد: «ما رأيت أنزع بآية من كتاب الله من مالك بن أنس مع معرفته بالصحيح والسقيم»[(٢)].

٢- الحرص الشديد على الاقتداء والاهتداء بمن سلف من المتقدمين؛ ويتجلى ذلك في عمل أهل المدينة الذي كان الإمام مالك يعتد به في آرائه.

٣- قلة الاستناد والأخذ بالرأي والقياس مقارنة باستنادهم وأخذهم بالآثار.

ربط الفقه والاستنباط بالدليل وجعله الحجة للفتوى، فقد كان الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ لا يبوب على مسألة إلا ويذكر لها دليلًا، ولا يطلق القضايا على عواهنها، ولا يرسلها إرسالًا.

٤- مراعاة المقاصد والمآلات، ويتجلى ذلك في المصالح المرسلة وسد الذرائع.

٥- الاحتفاء بقول الصحابة وتحكيمها في فهم النصوص المحتملة وخاصة أقوال الخلفاء الأربعة، وأقوال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[(٣)].

---

(١) انظر الفتاوى (٢٠/ ٣٣٠، ٣٢٣)، (٢٠/ ٢٩٤)، تطور المذهب المالكي في الغرب الإسلامي لمحمد شرحبيلي (٩٢) نقلا عن النبوغ المغربي (١/ ٥٤-٥٥).

(٢) ترتيب المدارك للقاضي عيا ض (١/ ٦٣)، ورواه الذهبي في السير (٨/ ٩٥) به ورواه الخلال في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (١/ ١٩٣) عن عبد الرحمن بن مهدي، انظر: الديباج المذهب لابن فرحون (١/ ١٥)، وانظر بحث المذهب المالكي للطيب سلامة (٢٩).

(٣) انظر: بحث المذهب المالكي مصادره وعوامل انتشاره بأفريقيا والأندلس للأستاذ الطيب سلامة ضمن بحوث كتاب ابن عرفة (٢٨-٣٤)، بحث المدرسة المالكية الأولى للدكتور الحسين آيت سعيد ضمن بحوث الملتقى الأول: القاضي عبد الوهاب البغدادي المالكي. (١/ ١٢١-١٢٣)، والمدرسة المالكية الأندلسية إلى نهاية القرن الثالث لمصطفى الهراس (١٢٧-١٢٨)، والإمام مالك لأبي زهرة (٣٧٦)، و بحث الإمام مالك رائد مدرسة المدينة للدكتور التواتي بن التواتي ضمن بحوث أعمال الملتقى الوطني الثالث للمذهب المالكي -وزارة الشؤون الدينية والأوقاف (١٨-٢٠).

ثالثًا: التعريف بالإمام مالك(١):

اسمه ونسبه ومولده:

هو إمام دار الهجرة أبو عبدالله مالك بن أنس بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث الأصبحي، من قحطان(٢). ولد في المدينة النبوية سنة ٩٣هـ(٣).

طلبه للعلم:

قال الذهبي: «طلب مالك العلم وهو ابن بضع عشرة سنة، وتأهل للفتيا وجلس للإفادة وله إحدى وعشرون سنة، وحدث عنه جماعة وهو صبي شاب طري، وقصده طلبة العلم من الآفاق في آخر دولة أبي جعفر المنصور وما بعد ذلك، وازدحموا عليه في خلافة الرشيد، وإلى أن مات رَحِمَهُ اللَّهُ»(٤).

منزلته العلمية وثناء الناس عليه:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يبلغ به النبي ﷺ قال: «ليضربن الناس أكباد الإبل في طلب العلم، فلا يجدون عالما أعلم من عالم المدينة»(٥) قال سفيان بن عيينة: نرى أن المراد بهذا الحديث مالك بن أنس(٦). وأورد الذهبي قول أبي عبد الله الحاكم رَحِمَهُ اللَّهُ

---

(١) انظر في ترجمته: ترتيب المدارك(١/ ٣٥-١٤٠)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٨/ ٤٨-٩٠)، و الأنساب للسمعاني (١/ ٢٨٧)، والانتقاء لابن عبد البر (١/ ٣١-٤٧)، و التمهيد (١/ ٦١-٩٢)، والتقييد (١/ ٤٣٥-٤٣٨)، وتذكرة الحفاظ (١/ ٢٠٧-٢١٣)، وتاريخ ابن خلدون (٧/ ٦٨١-٦٨٨)، والديباج المذهب(١/ ١٣-٣٠)والجرح والتعديل (١/ ٤-٣١)، و المعارف لابن قتيبة (١/ ٤٩٨-٤٩٩)، ومناقب مالك للزواوي، بحث المذهب المالكي مصادره وعوامل انتشاره للطيب سلامة ضمن بحوث ملتقى الإمام عرفة(١٥-٢٦).

(٢) انظر ترتيب المدارك(١/ ١٠٥)السير للذهبي(١/ ٤٨)، والانتقاء لابن عبد البر(٩-١١)، والتمهيد (١/ ٨٩-٩٠).

(٣) انظر: ترتيب المدارك(١/ ١١٨)، وذكره الذهبي في السير(٨/ ٤٩) ورجحه.

(٤) سير أعلام النبلاء(٨/ ٥٥)، وانظر ترتيب المدارك (١/ ١٣٢-١٣٤).

(٥) رواه الإمام أحمد(٢/ ٢٩٩)، والترمذي(٢٦٨٢)، وابن حبان(٢٣٠٨)، والحاكم (١/ ١٩)، والبيهقي (١/ ٣٨٦) قال الشيخ أحمد شاكر في تحقيق مسند أحمد(١٥/ ١٣٥-١٣٧ رقم٧٩٦٧):إسناده صحيح.

(٦) قال القاضي عياض: «وهذا هو الصحيح عن سفيان، رواه عنه الثقات والأئمة:ابن المهدي، وابن معين، وذؤيب بن عمامة، وابن المديني، والزبير بن بكار، وإسحاق ابن أبي إسرائيل، كلهم سمع سفيان يفسره بمالك، أو يقول: أظنه، أو أحسبه، أو أراه، أو كانوا يرونه» ترتيب المدارك (١/ ٧١).

قال: وكلهم يفتي بالمدينة، ولم يتفرد واحد منهم بأن ضربت إليه أكباد الإبل حتى خلا هذا العصر، فلم يقع بهم التأويل في «عالم المدينة» ثم حدث بعدهم مالك، فكان مفتيها، فضربت إليه أكباد الإبل من الآفاق، واعترفوا له، وروت الأئمة عنه ممن كان أقدم منه سنا»(١).

وقد أثنى على الإمام مالك عدد من أئمة الإسلام ومن ذلك:

قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا جاءك الأثر عن مالك فشد به يدك»، وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا ذكر العلماء فمالك النجم، ولم يبلغ أحد في العلم مبلغ مالك، لحفظه وإتقانه وصيانته، ومن أراد الحديث فعليه بمالك»(٢).

- وقال ابن المبارك: «لو قيل لي: اختر للأمة إماما، اخترت لها مالكا».
- وقال الإمام أحمد بن حنبل «مالك سيد من سادات أهل العلم، وهو إمام في الحديث والفقه، ومن مثل مالك متبع لآثار من مضى؟ مع عقل وأدب»(٣).
- وقال يحيى بن معين «كان مالك من حجج الله على خلقه»(٤).

صفاته:

قال الحارث بن مسكين رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٥): «رحم الله مالكًا، ما كان أصونه للعلم، وأصبره على الفقر، ولزوم المدينة»(٦) وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ كثير العبادة والصلاة، كثير العمل في السر. قال ابن الماجشون رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٧): «والله ما علمناه إلا بصلاح

---

(١) السير (٨/ ٦١)، وانظر (٨/ ٥٨).

(٢) الانتقاء (٢٣-٢٤)، والحلية (٦/ ٢٢) وترتيب المدارك (١/ ١٤٩).

(٣) ترتيب المدارك (١/ ١٥٤).

(٤) الانتقاء (٣١)، والسير (٨/ ٩٤)، وانظر ترتيب المدارك (١/ ١٧٧).

(٥) هو الحارث بن مسكين بن محمد بن يوسف أبو عمرو القاضي، قال الخطيب البغدادي: كان فقيهًا على مذهب مالك ثقة في الحديث ثبتًا. توفي سنة ٢٥٠هـ، وقيل توفي سنة ٢٤٨هـ. انظر: ترتيب المدارك (٤/ ٢٦ - ٣٦)، و الديباج المذهب (١/ ٣٣٩).

(٦) ترتيب المدارك (١/ ١٢٧).

(٧) هو: أبو مروان عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة. المعروف بابن الماجشون. كان فقيهًا فصيحًا دارت عليه الفتوى في زمانه. ومن مؤلفاته: كتاب سماعات ابن الماجشون، رسالة في الإيمان والقدر، والرد على من قال بخلق القرآن والاستطاعة. توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة اثنتي=

وعفاف»[١]. وقال ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «رأيت مالكًا فرأيته من الخاشعين، وإنما رفعه الله بسريرة بينه وبينه، وذلك أني كثيرا ما كنت أسمعه يقول: من أحب أن يفتح له فرجة في قلبه وينجو من غمرات الموت وأهوال يوم القيامة، فليكن عمله في السر أكثر منه في العلانية»[٢] إلى غير ذلك مما يطول ذكره عن هذا الإمام، ولعل فيما أوردته ما يكفي لإظهار فضله وعلو منزلته رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وفاته:

توفي الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في شهر ربيع الأول سنة ١٧٩ هـ، وعمره ست وثمانون سنة، ودفن بالبقيع[٣].

رابعًا: مدارس[٤] المذهب المالكي وأبرز أعلامه[٥]:

نشأ المذهب المالكي بالمدينة ثم انتشر في الحجاز، وغلب عليه وعلى البصرة ومصر وما والاها من بلاد أفريقيا والأندلس وصقلية والمغرب الأقصى إلى بلاد من أسلم من السودان وتميزت كل بلد انتشر فيها المذهب بجملة **من الخصائص والأعلام كما سيأتي:**

=عشرة، وقيل: سنة ثلاث عشرة، وقيل أربع عشرة ومائتين. انظر: ترتيب المدارك(١/ ١٢٨)، الديباج المذهب (١/ ٩١)، شجرة النور الزكية (١/ ٥٦).

(١) مناقب مالك للزواوي (١٣٧).

(٢) ترتيب المدارك(٢/ ٥١)، وانظر مناقب مالك للزواوي (١٣٨).

(٣) انظر: التمهيد(١/ ٩٢)، وترتيب المدارك(٢/ ١٤٦)، و السير(٨/ ١٣٠-١٣٥).

(٤) المدرسة في الاصطلاح منضوية تحت المذهب ومتفرعة عنه، فهي لا تخرج عنه في أصوله وإنما تختلف عنه في بعض المسائل الفرعية وفي طريقة الاحتجاج، وأيضًا تهتم في شرح مقفل غوامض المذهب والاهتمام بالروايات المنقولة عن الإمام، وتمحيصها، وترجيح بعضها على بعض، إلى غير ذلك من القضايا التي تعمل على خدمة المذهب، وليس الخروج عنه. انظر: بحث المدرسة المالكية العراقية لعبد الفتاح الزنيفي ضمن بحوث ملتقى القاضي عبد الوهاب (١/ ٥٤٦-٥٤٩).

(٥) انظر: المذهب المالكي: مدارسه، ومؤلفاته، وخصائصه، وسماته. محمد المامي، مركز زايد للتراث، الإمارات، ط الأولى، ١٤٢٢هـ. (٤٥-١٠٠)، واصطلاح المذهب عند المالكية لمحمد علي (٦١-٨٢)، ومباحث في المذهب المالكي بالمغرب للجيدي (١٥-٣١)، وبحث أسباب تعدد المدارس في المذهب المالكي، الحبيب بن طاهر-ضمن بحوث ملتقى (القاضي عبد الوهاب)- (٢/ ٣٧٩-٣٩٣).

١- المدرسة المدنية:

هي المدرسة الأم، والنبع الذي انبثقت منه كل روافد المذهب[١]. وقد استمرت هذه المدرسة إلى ما قبل المائة الخامسة أو السادسة، حيث أصابها ما أصاب مدارس أهل السنة من اعتداء الرافضة؛ فظهرت البدع بها من حينئذ[٢].

ومن أبرز علماء هذه المدرسة:

١- ابن الماجشون.

٢- محمد ابن دينار[٣].

٣- ابن أبي حازم[٤].

٤- ابن كنانة[٥].

٥- ابن نافع[٦].

٦- ابن مسلمة[٧].

---

(١) انظر ترتيب المدارك (١/ ٢٣).

(٢) انظر الفتاوى(٢٠/ ٣٠٠)، وانظر: تبصرة الحكام لابن فرحون(٢/ ٥)، والمذهب المالكي مدارسه ومؤلفاته(٥٢-٥٣)، واصطلاح المذهب عند المالكية لمحمد علي (٦٥).

(٣) هو: أبو عبدالله محمد بن إبراهيم بن دينار الجهيني، من قدماء أصحاب الإمام مالك المدنيين، كان فقيهًا فاضلًا، له بالعلم عناية ورواية. توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة ١٨٢هـ.
انظر: ترتيب المدارك(١/ ٩٨)، الديباج المذهب (١/ ١٢٥)، شجرة النور الزكية(١/ ٥٧).

(٤) هو: أبو تمام عبدالعزيز بن أبي حازم سلمة بن دينار الفقيه الأعرج، من أصحاب مالك المدنيين، كان من أئمة العلم بالمدينة، صدوقًا ثقة، توفي سنة: أربع وقيل: خمس وقيل: ست وثمانين ومائة.
انظر: ترتيب المدارك، (١/ ٩٥)، و الديباج المذهب، (١/ ٩٥).

(٥) هو: أبو عمرو عثمان بن عيسى بن كنانة. من أصحاب مالك المدنيين.، أخذ عن مالك وغلبه الرأي، وليس له في الحديث ذكر، وكان مجلسه عن يمين مالك لا يفارقه، توفى رَحِمَهُ اللَّهُ سنة ست وثمانين ومائة، وقيل: سنة خمس وثمانين.
انظر: ترتيب المدارك (١/ ٩٨)، وطبقات الفقهاء(١/ ١٤٦).

(٦) هو: أبو محمد عبدالله بن نافع القرشي المخزومي، مولاهم. المعروف بالصائغ. من أصحاب مالك المدنيين. كان صاحب رأي مالك ومفتي المدينة بعده.. توفي رَحِمَهُ اللَّهُ بالمدينة سنة ٢٠٦هـ.
انظر: ترتيب المدارك، (١/ ١٢٦)، الديباج المذهب (١/ ٧٢)، شجرة النور الزكية (١/ ٥٥).

(٧) هو: أبو هشام محمد بن مسلمة المخزومي. من أصحاب مالك المدنيين، كان فقيهًا ثقة مأمون،=

٧- مطرف بن عبد الله[١].

٢- المدرسة المصرية:

وتعد أول مدرسة مالكية تأسست بعد مدرسة المدينة [٢]، وقد احتلت المدرسة المصرية الصدارة من بين المدارس الأخرى، وذلك لمنزلة ابن القاسم من إمام المذهب[٣]. لكنها عانت كثيرا بسبب فتنة خلق القرآن، ولما انتهت الفتنة عاد أئمة المالكية في مصر إلى الواجهة من جديد[٤]، وقد ظلت تؤدي نشاطها حتى تعرضت لاضطهاد العبيديين في القرن السادس، فانقطع نحو قرنين انقطاعًا كليًا، ثم تراجع وذاع[٥].

ومن أبرز علماء هذه المدرسة:

١- ابن القاسم[٦].

٢- ابن وهب[٧].

=جمع العلم والورع.. قال أبو حاتم: «كان أحد فقهاء المدينة وأصحاب مالك وأفقههم » له كتب فقه أخذت عنه. توفي رَحِمَهُ اللَّهُ: سنة ٢٠٦هـ وقيل: ٢١٦هـ.

انظر: ترتيب المدارك(١/ ١٢٧)، و الديباج المذهب(١/ ١٢٥)، و شجرة النور الزكية(١/ ٥٦).

(١) هو: أبو مصعب وقيل: أبو عبدالله مطرف بن عبدالله الهلالي، ابن أخت الإمام مالك وأحد الرواة عن مالك من المدنيين. قال أحمد بن حنبل: كانوا يقدمونه على أصحاب مالك. توفي رَحِمَهُ اللَّهُ بالمدينة سنة ٢٢٠، وقيل غير ذلك.

انظر: ترتيب المدارك (١/ ١٢٧)، الديباج المذهب(١/ ١٧٢)، شجرة النور الزكية(١/ ٥٧).

(٢) انظر: ترتيب المدارك(١/ ١٥-٦٥)، و المذهب المالكي مدارسه ومؤلفاته(٦٧)، والمذاهب الفقهية الأربعة(٦٥-٦٦)..

(٣) انظر: اصطلاح المذهب عند المالكية لمحمد علي(٧٠).

(٤) انظر: المدارك (٤/ ١٦٤)، (٣/ ٣٦٤)، و المذهب المالكي مدارسه ومؤلفاته لمحمد المامي(٦٨-٧٠).

(٥) انظر: اصطلاح المذهب عند المالكية(٧٢)، وشجرة النور الزكية(٤٤٥-٤٥٠)، و المذهب المالكي مدارسه ومؤلفاته لمحمد المامي(٦٧-٧١).

(٦) هو عبد الرحمن بن القاسم العتقي. يُكنى: أبا عبد الله.. كان فقيهًا قد غلب عليه الرأي، وهو عالم الديار المصرية ومفتيها، توفي بمصر سنة ١٩١هـ، وقيل ١٩٢هـ.

انظر: ترتيب المدارك (٣/ ٢٤٤-٢٦١)، و الديباج المذهب (١/ ٤٦٥-٤٦٨)، و شجرة النور الزكية (ص ٥٨).

(٧) هو عبد الله بن وهب أبو محمد القرشي الفهري قال ابن عبد البر: يقولون إن مالكًا لم يكتب لأحد=

٣- أشهب[١].

٤- أصبغ[٢].

٥- ابن عبد الحكم[٣].

٦- الحارث بن مسكين.

٧- ابن المواز[٤].

=بالفقيه إلا على ابن وهب. وقال محمد بن الحكم: هو أثبت الناس في مالك. من مؤلفاته: كتاب: الموطأ الكبير، و كتاب: تفسير الموطأ، وغيرها. توفي بمصر سنة ١٩٧هـ، وقيل ١٩٨هـ.

انظر: ترتيب المدارك (٣/ ٢٢٨ - ٢٤٣)، و الديباج المذهب (١/ ٤١٣-٤١٧)، و شجرة النور الزكية (ص ٥٨ - ٥٩).

(١) هو أشهب بن عبد العزيز أبو عمرو القيسي العامري الجعدي اسمه مسكين وأشهب لقب. من المصريين. روى عن مالك بن أنس وتفقه به، صنف كتابًا في الفقه وهو المدونة، وكتاب في فضائل عمر بن عبد العزيز. توفي بمصر سنة ٢٠٤هـ.

انظر: ترتيب المدارك (٣/ ٢٦٢-٢٧)، و الديباج المذهب (١/ ٣٠٧-٣٠٨)، و شجرة النور الزكية (ص ٥٩).

(٢) هو أصبغ بن الفرج بن سعيد بن نافع أبو عبد الله قال ابن معين: كان أصبغ من أعلم خلق الله كلهم برأي مالك يعرفها مسألة مسألة متى قالها مالك ومن خالفه فيها. من مؤلفاته: كتاب: الأصول، و تفسير غريب الموطأ، و آداب القضاة، والرد على أهل الأهواء، توفي بمصر سنة ٢٢٥هـ، وقيل سنة ٢٢٤هـ.

انظر: ترتيب المدارك (٤/ ١٧-٢٢)، و الديباج المذهب (١/ ٢٩٩-٣٠١)، و و شجرة النور الزكية (ص ٦٦).

(٣) هو عبد الله بن عبد الحكم أبو محمد القرشي الأموي. قال أبو إسحاق الشيرازي: كان أعلم أصحاب مالك بمختلف قوله، وأفضت إليه الرئاسة بعد أشهب. له من المؤلفات: المختصر الكبير، والمختصر الأوسط، والمختصر الصغير. توفي بمصر سنة ٢١٤هـ.

انظر: ترتيب المدارك (٣/ ٣٦٣-٣٦٨)، و الديباج المذهب(١/ ٤١٩-٤٢١)، و شجرة النور الزكية (ص٥٩).

(٤) هو محمد بن إبراهيم بن زياد أبو عبد الله الإسكندراني الفقيه الزاهد المعروف بابن المواز.. قال ابن حارث: «كان راسخًا في الفقه والفتيا علمًا في ذلك».. له من المؤلفات: الموازية، توفي بدمشق سنة ٢٦٩هـ، وقيل ٢٨١هـ.

انظر: ترتيب المدارك (٤/ ١٦٧ - ١٧٠)، و الديباج المذهب (٢/ ١٦٦-١٦٧)، و و شجرة النور الزكية (ص٦٨).

٣ - المدرسة العراقية:

بدأ ظهور مذهب الإمام مالك بالبصرة على يد تلاميذ الإمام مالك، ثم توسع انتشاره بعد هؤلاء الأعلام على يد العراقيين ممن تتلمذ على يد تلاميذ مالك من المدنيين. وعلى رأس قائمة من نشر مذهب مالك بالعراق الإمام أحمد بن المعذّل، وقد ضعفت هذه المدرسة حتى قيل: «انقطع المذهب ببغداد فلم يبق بها إمام من نحو الخمسين والأربعمائة»[١].

ومن أبرز علماء هذه المدرسة:

ابن المعذّل[٢].

القاضي إسماعيل بن إسحاق[٣].

أبو بكر الأبهري[٤].

---

(١) ترتيب المدارك (١/ ٢٤)، وانظر اصطلاح المذهب عند المالكية لمحمد علي (٧٠)، و بحث(المدرسة الفقهية المالكية بالعراق)-د.عبد المنعم التمتساني-ضمن بحوث الملتقى الأول (القاضي عبد الوهاب البغدادي المالكي). (١/ ٤٠٥-٤٧٨)، بحث(المدرسة المالكية العراقية)-د.عبد الفتاح الزنيفي-ضمن بحوث الملتقى الأول(القاضي عبد الوهاب البغدادي) (١/ ٥٤٢-٦٠٨)، والمذهب المالكي مدارسه ومؤلفاته لمحمد المامي(٧٩-٨٤).

(٢) هو أحمد بن المعذل أبو الفضل العبدي البصري، كان فقيهًا بمذهب مالك.له من المؤلفات: كتاب: الرسالة، وكتاب: في الحجة. ولم تذكر سنة وفاته.

انظر: ترتيب المدارك (٤/ ٥-١٤)، و الديباج المذهب (١/ ١٤١- ١٤٣)، و شجرة النور الزكية (ص٦٤- ٦٥).

(٣) هو إسماعيل بن إسحاق أبو إسحاق الأزدي الجهضمي.قال الخطيب البغدادي: كان إسماعيل فاضلًا عالمًا متفننًا فقيهًا على مذهب مالك شرح مذهبه، ولخصه، واحتج له وصنف المسند، وكتبا عدة في علوم القرآن. من مصنفاته: كتاب: أحكام القرآن، و كتاب: المبسوط في الفقه، ومختصره. توفي ببغداد سنة ٢٨٢هـ.

انظر: ترتيب المدارك (٤/ ٢٧٦ - ٢٩٣)، و الديباج المذهب(١/ ٢٨٢-٢٩٠)، وشجرة النور الزكية (ص ٦٥ - ٦٦).

(٤) هو محمد بن عبد الله أبو بكر التميمي الأبهري، قال الدارقطني: هو إمام المالكية إليه الرحلة من أقطار الدنيا رأيت جماعة من الأندلس والمغرب على بابه ورأيته يذاكر بالأحاديث الفقهيات، له من المؤلفات: شرح مختصر ابن عبد الحكم الصغير، وكتاب: إجماع أهل المدينة، وغيرها.توفي ببغداد سنة ٣٧٥هـ. انظر: ترتيب المدارك (٦/ ١٨٣ - ١٩٢)، والديباج المذهب(٢/ ٢٠٦-٢١٠)، و شجرة النور الزكية (ص ٩١).

القاضي عبد الوهاب[(١)].

القاضي أبو الحسن ابن القصار[(٢)].

أبو القاسم بن الجلاب[(٣)].

٤- المدرسة المغربية:

وتمثل حاضرتين بالمغرب الإسلامي وهما القيروان وفاس، ويعتبر علي ابن زياد[(٤)] هو المؤسس الحقيقي لهذه المدرسة. وقد تعرض المذهب المالكي في المغرب إلى كثير من الهزات السياسية نتيجة اختلاف الدول والحكام إلا أنه صمد لكل ذلك «وجزى الله مشيخة القيروان خيرًا، هذا يموت، وهذا يضرب، وهذا يسحب، وهم

---

(١) هو عبد الوهاب بن علي بن نصر أبو محمد التغلبي البغدادي كان شديد التمسك بمذهب مالك، يقرره ويدافع عنه بكل ما أوتي من قوة الاستدلال وبراعة التنظير. قال الخطيب البغدادي: لم نلق من المالكيين أحدًا أفقه منه، وكان حسن النظر جيد العبارة. من مؤلفاته: كتاب: التلقين وشرحه، وشرح رسالة لابن أبي زيد االقيرواني، وغيرها كثير. سكن آخر عمره بمصر وتوفي فيها سنة ٤٢٢هـ.

انظر: ترتيب المدارك (٧/ ٢٢٠ - ٢٢٧)، والديباج المذهب(٢/ ٢٦-٢٩)، وشجرة النور الزكية (ص١٠٣-١٠٤).

(٢) هو علي بن عمر أبو الحسن البغدادي المعروف بابن القصار. قال أبو ذر الهروي: وهو أفقه من رأيت من المالكيين، وكان ثقة قليل الحديث. له من المؤلفات: عيون الأدلة في مسائل الخلاف بين فقهاء الأمصار. توفي سنة ٣٩٧هـ، وقيل ٣٩٨هـ.

انظر: ترتيب المدارك (٧/ ٧٠ - ٧١)، و الديباج المذهب (٢/ ١٠٠)، و شجرة النور الزكية (ص٩٢).

(٣) هو عبيد الله بن الحسن أبو القاسم البصري المعروف بابن الجلاب. قال الذهبي: شيخ المالكية العلامة...وكان أفقه المالكية في زمانه بعد الأبهري، وما خلف ببغداد في المذهب مثله. من مؤلفاته: كتاب: التفريع و كتاب: في مسائل الخلاف، توفي سنة ٣٧٨هـ.

انظر: ترتيب المدارك (٧/ ٧٦)، والديباج المذهب (١ و٤٦١) و شجرة النور الزكية (ص ٩٢).

(٤) هو: أبو الحسن علي بن زياد التونسي العبسي. وهو أول من أدخل الموطأ وجامع سفيان المغرب، وفسر لهم قول مالك، ومن مؤلفاته: كتاب «خير من زنته» في البيع. توفي رَحِمَهُ اللَّهُ- سنة ١٨٣هـ.

انظر: ترتيب المدارك، (١/ ١١٢)، و الديباج المذهب، (١/ ١١١)، و شجرة النور الزكية (١/ ٦٠).

صابرون لا يفرون ولو فروا لكفر العامة دفعة واحدة»[(١)]

ومن أبرز علمائها:

١- علي بن زياد.

٢- درّاس بن إسماعيل[(٢)].

٣- سحنون[(٣)].

٤- أسد بن الفرات[(٤)].

٥- ابن اللباد[(٥)].

---

(١) معالم الإيمان للدباغ (١/ ٢٠)، (١/ ٢٢٠)، وانظر: المدرسة المالكية الأندلسية إلى نهاية القرن الثالث-مصطفى الهروس- (١١٦-١١٨)، و الاصطلاح المذهب عند المالكية لمحمد علي (٧٦)، والمذهب المالكي مدارسه ومؤلفاته لمحمد المامي (٩٥-١٠٠)، وتطور المذهب المالكي في الغرب الإسلامي-محمد شرحبيلي-.(٩٠-١٦١)، والمعجب في تلخيص أخبار المغرب للمراكشي(٢٧٨-٢٧٩)، وشجرة النور الزكية(٤٥٠)، ومباحث في المذهب المالكي بالمغرب لعمر الجيدي(١٥-٣١)، والمذاهب الفقهية الأربعة(٧١-٧٤).

(٢) هو: أبو ميمونة دراس بن إسماعيل الفاسي. وكان أحفظ أهل زمانه بمذهب مالك وأصحابه، وهو أول من أدخل مدونة سحنون مدينة فاس، توفي بفاس سنة ٣٥٧هـ.
انظر: ترتيب المدارك، (١/ ٣٩٦)، و شجرة النور الزكية، (١/ ١٠٣)، و تاريخ العلماء بالأندلس (١/ ١٧٣).

(٣) هو: أبو سعيد عبدالسلام بن سعيد التنوخي الحمصي القيرواني. وسحنون لقب. قال الشيرازي: «إليه انتهت الرئاسة في العلم بالمغرب، وعلى قوله المعوّل به، وصنف المدونة، وعليها يعتمد أهل القيروان، وحصل له من الأصحاب مالم يحصل لأحد من أصحاب مالك، وعنه انتشر علم مالك في المغرب». توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة ٢٠٤هـ..
انظر: ترتيب المدارك، (١/ ٢١٧)، و الديباج المذهب، (١/ ٩٦)، و شجرة النور الزكية، (١/ ٦٩).

(٤) هو: أبو عبدالله أسد بن الفرات بن سنان، ولي قضاء القيروان، وكان فقيهًا شجاعًا حازمًا، ثقة لم يعرف ببدعة، من مؤلفاته: كتاب «الأسدية» في فقه المالكية، وليس لها ذكر الآن.توفي سنة٢١٣هـ.
انظر: ترتيب المدارك(١/ ١٦٨)،والديباج المذهب(١/ ٥٢)، وشجرة النور الزكية (١/ ٦٢).

(٥) هو: أبو بكر محمد بن محمد بن وِشاح،، اللخمي القيرواني، المعروف بابن اللباد. قال أبو العرب: «كان فقيهًا جليل القدر، عالمًا باختلاف أهل المدينة واجتماعهم، مهيبًا مطاعًا دينًا، زاهدًا من الحفاظ المعدودين، والفقهاء المبرزين». ألف العديد من الكتب منها «الطهارة» =

٦- ابن أبي زيد(١).

٧- ابن القابسي(٢).

٨- ابن أشرس(٣).

٩- الباجي(٤).

١٠- ابن محرز(٥).

=إثبات الحجة في بيان العصمة». توفي سنة ٣٣٠هـ.

انظر: ترتيب المدارك، (١/ ٣٥٨)، و الديباج المذهب، (١ / ١٣٤)، وشجرة النور الزكية، (١/ ٨٤).

(١) هو: أبو محمد عبدالله بن أبي زيد النفري القيرواني المالكي، وهو إمام المالكية في وقته، وقدوتهم، جمع مذهب مالك وشرح أقواله، وكان يعرف بمالك الصغير. له جملة من المؤلفات النافعة ومنها: النوادر والزيادات على المدونة مختصر المدونة، الرسالة الذب عن مذهب مالك،. توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة٣٨٦هـ.

انظر: ترتيب المدارك(١/ ٤٣٧)،والديباج المذهب(١/ ٧٧)، و شجرة النور الزكية (١/ ٩٦).

(٢) هو: أبو الحسن علي بن محمد المعافري القيرواني، المعروف بابن القابسي.. كان عالم المالكية بأفريقيا في عصره، وكتبه من أصح الكتب وأجودها ضبطًا وتقييدًا بواسطة الثقات من أصحابه ومنها: ملخص الموطأ، جمع فيه ما اتصل إسناده من حديث مالك بن أنس، الممهد في الفقه، المنقذ من شبه التأويل،توفي رَحِمَهُ اللَّهُ في القيروان سنة٤٠٣هـ.

انظر: ترتيب المدارك، (١/ ٤٩٤)، و الديباج المذهب، (١/ ١١٣)، و شجرة النور الزكية، (١/ ٩٧).

(٣) هو: أبو مسعود ابن أشرس، قال سحنون: «كان ابن أشرس أحفظ على الرواية، وكان شديد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر». لم أجد فيما اطلعت عليه من كتب المالكية ذكرًا لوفاته.

انظر: ترتيب المدارك، (١/ ١١٤)، و الديباج المذهب، (١/ ٩٠)، و شجرة النور الزكية، (١/ ٦٢).

(٤) هو: أبو الوليد سليمان بن خلف التجيبي القرطبي الباجي. قال فيه أبو محمد بن حزم: «لم يكن لأصحاب المذهب المالكي بعد القاضي عبد الوهاب مثل أبي الوليد الباجي».له عدد من التآليف ومنها: المنتقى في شرح الموطأ،.إحكام الفصول في أحكام الأصول.توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة ٤٧٤هـ.

انظر: ترتيب المدارك (٢/ ٧١)، والديباج المذهب(١/ ٦٦)،وشجرة النور الزكية، (١/ ١٢٠).

(٥) هو: أبو القاسم عبدالرحمن بن محرز القيرواني. كان فقيهًا نظارًا نبيلًا، صاحب رأي حسن، ومروءة تامة. من مؤلفاته: التبصرة وهو تعليق على المدونة، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ في نحو ٤٥٠هـ.

انظر: ترتيب المدارك(٢/ ٦١)، الديباج المذهب(١/ ١٢٤)،وشجرة النور الزكية (١/ ١١٠).

١١- ابن عبدالبر[(١)].

١٢- اللخمي[(٢)].

١٣- ابن رشد[(٣)].

٥- المدرسة الأندلسية:

ومؤسس هذه المدرسة هو زياد بن عبد الرحمن الملقب بـ«شبطون»،و تعد المدرسة الأندلسية في آرائها الفقهية امتدادًا علميًا لمدرسة تونس، والقيروان لقوة الاتصال بين مدرسة الأندلس وأفريقيا، وتداخل نشاطها العلمي؛لذا لا نجد عند المتأخرين فصلًا بين المدرستين، بل يعدون علماء المدرسة الأندلسية من المدرسة المغربية، خاصة وأن الكثير من هؤلاء العلماء هجروا الأندلس بعد محنتها والتجئوا

(١) هو: أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر النَّمَري، القرطبي. من أهل الأندلس، قال عنه الذهبي: «كان إمامًا دينًا، ثقة، متقنًا، علامة، متبحرًا، صاحب سنة واتباع» له جملة من المؤلفات المشهورة والنافعة، ومنها:التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، الاستذكار لمذاهب علماء الأمصار،الاستيعاب في معرفة الأصحاب،الانتقاء في فضائل الثلاثة الفقهاء مالك، وأبي حنيفة، والشافعي، جامع بيان العلم وفضله.توفي رَحِمَهُ اللَّهُ بشاطبة في الأندلس سنة٤٦٣هـ.

انظر: ترتيب المدارك (٢/ ٧٣)،والديباج المذهب(١/ ١٧٨)، و شجرة النور الزكية (١/ ١١٩).

(٢) هو: أبو الحسن علي بن محمد الربعي القيرواني، المعروف باللخمي.

قال فيه القاضي عياض: «وكان أبو الحسن فقيهًا فاضلًا ديّنًا مفتيًا متفننًا، ذا حظ من الأدب والحديث، جيد النظر، حسن الفقه، جيد الفهم. وكان فقيه وقته، أبعد الناس صيتًا في بلده، وبقي بعد أصحابه، فحاز رئاسة بلاد إفريقيا، من مؤلفاته:. كتاب التبصرة في الفقه المالكي، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ بسفاقس سنة٤٧٨هـ.

انظر: ترتيب المدارك، (٢/ ٦٩)، و الديباج المذهب، (١/ ١١٤)، و شجرة النور الزكية، (١/ ١١٧).

(٣) هو: أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي المالكي. قال ابن بشكوال: «كان فقيهًا عالمًا، حافظًا للفقه، مقدمًا فيه على جميع أهل عصره، عارفًا بالفتوى، بصيرًا بأقوال أئمة المالكية، نافذًا في علم الفرائض والأصول» من مؤلفاته: المقدمات الممهدات لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعيات،البيان والتحصيل في مسائل المستخرجة، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة ٥٢٠هـ.

انظر: الديباج المذهب(١/ ١٤٧)، وشجرة النور الزكية(١/ ١٢٩).

إلى المغرب.[(١)]

ومن أبرز علماء المدرسة الأندلسية:

١- شبطون[(٢)].

٢- يحيى بن يحيى الليثي[(٣)].

ختامًا فإن ما ذكرته إنما هو تعريف موجز بالمذهب المالكي وبإمامه والبعض من أعلامه، وإلا فإن كثيرًا من أعلام المذهب لم أشر إليهم هنا، وسيذكرون في طيات هذه الرسالة تعريفًا بهم، وبأقوالهم في مسمى الإيمان، وأركانه، ونو اقضه.



(١) انظر: اصطلاح المذهب عند المالكية (٨١)، والمذهب المالكي مدارسه ومؤلفاته لمحمد المامي(١٠٠-١١٣)، وندوات ومحاضرات التراث المالكي في الغرب الإسلامي (١١٠-١٢٦)، والمذاهب الفقهية الأربعة (٦٦-٧١).

(٢) هو: أبو عبد الله، زياد بن عبد الرحمن اللخمي الأندلسي المالكي. المعروف بشبطون.. و هو أول من أدخل الموطأ، ومذهب مالك الأندلس،. كان إمامًا عالمًا فقيهًا ناسكًا، سماه أهل المدينة فقيه الأندلس. من مؤلفاته: الجامع في الفقه. توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة ١٩٣هـ وقيل ١٩٩هـ.
انظر: ترتيب المدارك (١/ ١٢٣)، و الديباج المذهب (١/ ٦٥)، و شجرة النور الزكية(١/ ٦٣).

(٣) هو: أبو محمد يحيى بن يحيى المصمودي الليثي الأندلسي القرطبي. وروايته للموطأ هي من أشهر الروايات وأحسنها. وإليه انتهت رئاسة العلم في الأندلس، وقد حظي بمكانة كبيرة عند أمراء الأندلس. توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة ٢٣٤هـ.
انظر: ترتيب المدارك، (١/ ١٩٧)،والديباج المذهب، (١/ ١٧٤)، وشجرة النور الزكية، (١/ ٦٣).

سلسلة إصدارات دار المهذب للرسائل العلمية (١)

حقيقة الإيمان وأركانه ونواقضه

عند علماء المالكية

تأليف
د. ريما بنت مقرن بن محمد الشيخ
أستاذ مشارك في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تقديم
أ.د. سليمان بن صالح الغصن
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الجزء الثاني

دار المهذب
دار اللؤلؤ

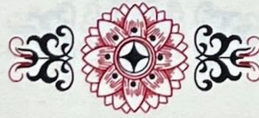
الباب الرابع:
مخالفة بعض المتأخرين من علماء المالكية لمذهب أهل السنة والجماعة في تقرير أصول الإيمان ونواقضه والآثار المترتبة على ذلك



وفيه فصلان:

الفصل الأول: أسباب مخالفة بعض المتأخرين من علماء المالكية لمذهب أهل السنة والجماعة في تقرير أصول الإيمان ونواقضه.

الفصل الثاني: الآثار المترتبة على مخالفة بعض المتأخرين من علماء المالكية لمذهب أهل السنة والجماعة في تقرير أصول الإيمان ونواقضه.



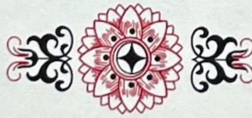
الفصل الأول:
أسباب مخالفة بعض المتأخرين من علماء المالكية لمذهب أهل السنة والجماعة في تقرير أصول الإيمان ونواقضه،



وفيه مبحثان.

المبحث الأول: مراحل دخول الآراء الكلامية والمخالفات العقدية إلى أتباع المذهب المالكي.

المبحث الثاني: أسباب مخالفة المتأخرين من علماء المالكية لمذهب أهل السنة والجماعة.



المبحث الأول:

مراحل دخول الآراء الكلامية والمخالفات العقدية إلى أتباع المذهب المالكي



وفيه تمهيد ومطلبان:

المطلب الأول: العلاقة بين المالكية والمذاهب الكلامية.

المطلب الثاني: المراحل التي مرّ بها المالكية من الأشاعرة.



تمهيد

كان علماء المالكية رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ مالكية في الفروع والأصول موافقين للسلف في الصفات والقدر وفي مسائل الأسماء والأحكام، بل قد اشتهر كثير منهم بذم علم الكلام والتصوف والمبالغة في التحذير منه ومحاربته نصيحة للأمة وحفاظا عليها وأداء لما يجب عليهم من حق الله تعالى، واستمر ذلك حتى نهاية القرن الرابع الهجري حيث بدأت تظهر بوادر مخالفة السلف في مسائل الاعتقاد، وكان ذلك بسبب جملة من العوامل التي سأشير إليها هنا بإذن الله تعالى.

ومن خلال النظر في الدراسات المهتمة في المذهب وكتب التراجم والسير، وما نقل عن علماء المذهب؛ **نجد أن الباحثين أشاروا إلى أن المذهب المالكي من الناحية العقدية مر بمراحل ثلاث:**

المرحلة الأولى: ويمثلها الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ ومن وافقه من علماء المذهب حيث أبدوا خلالها تمنعا تجاه الخوض في المسائل الكلامية واكتفوا بالدفاع عن أصول العقيدة والإنكار على من خالف فيها تأسيا بإمام مذهبهم ومن هؤلاء أبو محمد الغازي بن قيس، وزيد بن عبد الرحمن الشهير بشبطون، وعبد الله بن فروخ، وأسد بن الفرات.

المرحلة الثانية: وجاءت نتيجة اختلاط علماء المذهب بالفرق الكلامية المخالفة وفيها سعى بعض علماء المالكية إلى المشاركة في الخوض في المسائل الكلامية والرد على الفرق المخالفة والتأليف في ذلك إلا أن ذلك تم بصفة ضيقة ومحدودة، ومن أبرز أعلامها محمد بن سحنون رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

المرحلة ثالثة: انتهى فيها جمع من علماء المالكية إلى تبني المذهب الأشعري وغيره من بدع الاعتقاد منذ أواخر القرن الرابع.[1]

وبناء على التتبع التاريخي للمذهب فإن علم الكلام وغيره من البدع انتشرت بين المالكية حتى أضحت ركيزة من ركائز المذهب عند المتأخرين منهم، وسوف أعرض

---

(١) انظر: المذهب المالكي بالمغرب الإسلامي، نجم الدين الهتاني(١٨٦)

هنا باختصار دراسة لأهم الأسباب التي أسهمت في هذا التحول حتى أصبح التأويل والتعطيل أو التصوف سمة بارزة عند المالكية.

وقبل ذلك أود أن أنبه إلى جملة من الأمور التي يحسن ذكرها في هذا المقام، **وهي كالآتي:**

١- جعل الله تعالى الاختلاف في الدين وظهور البدع سنة من سننه الكونية ولا يمكن أن يكون المالكية خارجين عن هذا التقدير، قال الشاطبي: «قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾﴾ [هود: ١١٨] ليس المراد هاهنا الاختلاف في الصور كالحسن والقبيح والطويل والقصير، ولا في الألوان كالأحمر والأسود، ولا في أصل الخلقة كالتام الخلق والناقص الخلق والأعمى والبصير، والأصم والسميع، ولا في الخلق كالشجاع والجبان، والجواد والبخيل، ولا فيما أشبه ذلك من الأوصاف التي هم مختلفون فيها.

وإنما المراد اختلاف آخر وهو الاختلاف الذي بعث الله النبيين ليحكموا فيه بين المختلفين، كما قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣] الآية، وذلك الاختلاف في الآراء والنحل والأديان والمعتقدات المتعلقة بما يسعد الإنسان به أو يشقى في الآخرة والدنيا»(١).

٢- ومع ذلك فإن هذا التقدير السابق ليس عذرا في تسويغ الافتراق في الدين؛ لأنه لا يقع في العادات الجارية بين المتبحرين في علم الشريعة الخائضين في لجتها العظمى، العالمين بمواردها ومصادرها.

والدليل على ذلك اتفاق العصر الأول وعامة العصر الثاني على ذلك(٢).

٣- كلما بعد الناس عن عصر النبوة سهل عليهم الاختلاف في الدين وذلك لكثرة الإشتباه والإضطراب وبعدهم عن نور النبوة وشمس الرسالة الذي به يحصل الهدى والصواب ويزول به عن القلوب الشك والارتياب(٣).

---

(١) الاعتصام للشاطبي (٢/ ٦٧٠-٦٧٣).

(٢) انظر: الاعتصام(٢/ ٦٧٩).

(٣) انظر: درء التعارض(٢/ ١٠٣).

٤- ليست كل الأسباب المذكورة هنا خاصة بالمذهب المالكي وحده لكنني أذكرها هنا لارتباط التحول في المذهب المالكي بها إما مباشرة أو باجتماعها مع غيرها من الأسباب والعوامل.

وسيتبين في المطالب الآتية كيف دخلت الآراء الكلامية والمخالفات العقدية إلى أتباع المذهب المالكي:

المطلب الأول: العلاقة بين المالكية والمذاهب الكلامية

جزم بعض الباحثين في المذهب المالكي قديما وحديثا بأن المذهب المالكي كان عريا عن المذاهب الكلامية حتى دخول المذهب الأشعري إليه(١)؛ وهذا بعيد لكن قد يفهم منه المبالغة في موافقة متقدمي المالكية للسلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ غير أنه لا يمنع وجود من انتسب لتلك المذاهب الكلامية.(٢) قال ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما علم الكلام فإن بلادنا وإن كانت لم تتجاذب فيها الخصوم ولا اختلفت فيها النحل فقل لذلك تصرفهم في هذا الباب فهي على كل حال غير عرية عنه»(٣).

وقد كان الغالب في علماء المالكية الإنكار على أهل الكلام ومقاومتهم إما بالمناظرة أو التأليف أو بواسطة السلطان(٤) آنذاك كما مرت الإشارة إلى جملة من

(١) وممن جزم بذلك الحاكم المستنصر بالله؛ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لم نر مذهبا من المذاهب غيره أسلم منه فان فيهم الجهمية والرافضة والخوارج والمرجئة والشيعة الا مذهب مالك فإنا ماسمعنا أن أحدا ممن تقلد مذهبه قال بشيء من هذه البدع» انظر: المعيار المعرب(٦/ ٣٥٧)،معيد النعم ومبيد النقم(٧٥)،، مباحث في المذهب المالكي بالمغرب(٢٨).

(٢) انظر مباحث في المذهب المالكي بالمغرب-عمر الجيدي(٢٧-٢٨).

(٣) رسالة في فضل الأندلس،ابن حزم(٢/ ١٨٦)وانظر:نفح الطيب للمقري (٣/ ١٧٦)، فضائل الأندلس وأهلها (١/ ١٩)، تاريخ العلماء في الأندلس(١/ ١٦٥)، (١/ ٣٤٣)، ((٢/ ١٨٥)، تاريخ مدينة دمشق(٧/ ١٨)،الوافي بالوفيات (٦/ ٢٧)، الفكر الأندلسي لبالنثيا(٣)،الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس للبشري(١٩٧)،مباحث في المذهب المالكي بالمغرب(٢٧).

(٤) **عاصر المالكية مجموعة من الدول وافقتهم في رد علم الكلام والإنكار على المشتغلين به ومنها:**

أ- عهد ملوك الطوائف: لقد كان لملوك الطوائف الدور المهم في الحركة العلمية وازدهارها وتميزت البيئة الأندلسية بسيادة المذهب المالكي مما جعل من الصعب توفر المناخ الملائم لعلم الكلام،، وكان رأي الفقهاء واضحا في المسألة، وكان كل من يحاجج عن العقيدة الإسلامية=

ذلك في الباب الأول؛ ولهذا قال محمد بن خويز منداد إمام المالكية في وقته في العراق: «أهل الأهواء والبدع عند أصحابنا هم أهل الكلام؛ فكل متكلم من أهل الأهواء والبدع أشعريا كان أو غير أشعري لا تقبل له شهادة، ويهجر، ويؤدب على بدعته، فإن تمادى عليها استتيب منها»[(١)].

ومن هنا فإن الأصل عند علماء المالكية التضييق على المخالفين للسلف والإنكار عليهم قال ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أجمع أهل الفقه والآثار من جميع الأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وزيغ ولا يعدون عند الجميع في جميع الأمصار في طبقات العلماء وإنما العلماء أهل الأثر والتفقه فيه ويتفاضلون فيه بالإتقان والميز والفهم»[(٢)].

وقد جاء في ترجمة الفقيه أحمد بن محمد بن سعدي أبي عمر أنه سئل: هل حضرت مجالس أهل الكلام؟ فقال: بلى حضرتهم مرتين ثم تركت مجالسهم ولم أعد إليها، فقال أبو محمد: ولم؟ فقال: أما أول مجلس حضرته، فرأيت مجلسا قد

=بالحجج والبراهين يحارب. انظر: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس للضبي (١٥٧)، الصلة لابن بشكوال (١/ ٣٦١).

ب- عهد المرابطين: كان موقف السلطة المرابطية من علم الكلام، مشابها لمثيلتها في عهد ملوك الطوائف، ومثاله: دعوة الأمير علي بن يوسف بن تاشفين (ت٥٣٧هـ) إلى نهج مذهب السلف في ترك تأويل المتشابه من الآيات والأحاديث، ونهيه عن قراءة كتب العقيدة المؤسسة على قواعد الأشعرية، بل وأمر بإحراقها كما فعل بمؤلفات الغزالي قال المراكشي: «وقرر الفقهاء عند أمير المسلمين علي بن يوسف، تقبيح علم الكلام وكراهة السلف له، وهجرهم من ظهر عليه شيء منه، وأنه بدعة في الدين، وربما أدى أكثره إلى اختلال العقائد في أشباه لهذه الأقوال، حتى استحكم في نفسه بغض علم الكلام وأهله، وكان يكتب عنه في كل وقت إلى البلاد بالتشديد في نبذ الخوض في شيء منه، وتوعده من وجد عنده شيء من كتبه». انظر: المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي (١٧٢-١٧٨، ١٧٣).

(١) تحريم النظر في كتب الكلام (١/ ٤٢)، وانظر أحسن التقاسيم للمقدسي (٢٣٦)، بغية الملتمس للضبي (١٥٧) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٦)، الفتاوى الكبرى (٥/ ٢٤٨). بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٨٦)، ومن هؤلاء المتكلمين: عبد الوهاب بن منذر القرطبي (ت٤٣٦هـ) الإمام بمسجد قرطبة، نظر في شيء من الكلام فاتهم بالاعتزال، مما اضطره إلى الانقباض عن الخلق وملازمته لبيته، انظر مباحث في المذهب المالكي بالمغرب (٢٧).

(٢) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٥). وانظر الاعتصام (٢/ ٣٣٣)، جمع الجيوش والدساكر لابن عبد الهادي (١٥١)، ترتيب المدارك (٢/ ٣٨-٣٩).

جمع الفرق كلها، المسلمين من أهل السنة والبدعة، والكفار والمجوس، والدهرية والزنادقة والنصارى وسائر أجناس الكفر، ولكل فرقة رئيس يتكلم على مذهبه ويجادل عنه(...)، قال أبو عمر: فلما سمعت ذلك لم أعد إلى ذلك المجلس، ثم قيل لي تم مجلس آخر للكلام فذهبت إليه، فوجدتهم مثل سيرة أصحابهم سواء، فقاطعت مجالس أهل الكلام فلم أعد إليها»(١).

ونقل عن الحسين بن أبي أمامة المالكي لعنه أبا ذر الهروي بسبب ادخاله علم الكلام إلى بلاد المغرب، مع ما فيه من المحاسن والفضائل(٢).

وإذا كانت الأشعرية مذهب كثير من المالكية لكن لم يخل قرن من القرون من مالكي يدعو إلى منهج السلف والتمسك بآثارهم والعودة إلى طريقتهم في التعامل مع نصوص الوحيين(٣) إلا أن هذا لا يعني نفي انتساب المالكية إلى الأشعرية بل ان كثيرا

---

(١) جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس للحميدي (١/ ١٧٥-١٧٦).

(٢) انظر: درء التعارض (٢/ ١٠١)وقال شيخ الإسلام معلقا: قلت أبو ذر فيه من العلم والدين والمعرفة في الحديث والسنة وانتصابه لرواية البخاري عن شيوخه الثلاثة وغير ذلك من المحاسن والفضائل ما هو معروف به.

(٣) جاء في «النبوغ المغربي» لعبد الله كنون: «أصدر السلطان سليمان مرسومًا ملكيًا سنة ثلاث ومائتين وألف للهجرة في إصلاح المنهج التعليمي بالمغرب، وألزم العلماء والوعاظ به، وتوعد بالعقوبة كل من خالفه، ومما قال فيه: «ومن أراد علم الكلام فعقيدة ابن أبي زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كافية شافية يستغني بها جميع المسلمين». ثم قال: «ومن أراد أن يخوض في علم الكلام والمنطق وعلوم الفلاسفة وكتب غلاة الصوفية وكتب القصص؛ فليتعاط ذلك في داره مع أصحابه الذين لا يدرون بأنهم لا يدرون، ومن تعاطى ما ذكرنا في المساجد ونالته عقوبة فلا يلومن إلا نفسه، وهؤلاء الطلبة الذين يتعاطون العلوم التي نهينا عن قراءتها، ما مرادهم بتعاطيها إلا الظهور والرياء والسمعة، وأن يُضلوا طلبة البادية؛ فإنهم يأتون من بلدهم بنية خالصة في التفقه في الدين وحديث رسول الله ﷺ، فحين يسمعونهم يدرسون هذه العلوم التي نهينا عنها؛ يظنون أنهم يحصلون على فائدة بها، فيتركون مجالس التفقه في الدين واستماع حديث رسول الله ﷺ، وإصلاح ألسنتهم بالعربية، فيكون ذلك سببًا في ضلالهم». النبوغ المغربي (٢٧٧)وانظر موسوعة مواقف السلف (المقدمة/ ٧٢-٧٣).

ومن أعلام السلفية من المنتسبين للمذهب المالكي:

السلطان سليمان بن محمد بن عبد الله العلوي، أبو الربيع (١٢٣٨ هـ).

- عبد الله بن إدريس بن محمد بن أحمد السنوسي، أبو سالم (١٣٥٠ هـ). =

من المالكية افتتنوا بمذهب الأشعري[١].

المطلب الثاني: المراحل التي مرّ بها المالكية من الأشاعرة

لابد من التنبيه إلى أن كثيرا من المالكية المتأخرين قد انتهى بهم الأمر إلى اعتناق الأشعرية اعتقادا والتصوف سلوكا وعليه فقد اجتهدوا في التنظير لها ونشرها بين العامة؛ حتى صار قولهم لا ترى مالكيا إلا أشعريا من المسلمات عند كثير منهم؛ ولا نعرف كيف ساغ للمالكية الانتساب إلى الأشعرية والجزم بذلك وهم يعلمون أن الإمام مالك لم يدرك الأشعري ولم يوافقه في قوله، بل لم يكن الأشعري موافقا للامام مالك في فقهه، وهذا الإلزام يصلح جوابا على كل من وافق الأئمة الأربعة فقها وخالفهم في الاعتقاد؛ إذ في النقل عن هؤلاء إلزاما للحجة على كل من ينتحل مذهب إمام يخالفه في العقيدة فإن أحدهما لا محالة يضلل صاحبه أو يبدعه أو يكفره فانتحال مذهبه مع مخالفته له في العقيدة مستنكر عليه عقلا وشرعا[٢].

=- عبد السلام السرغيني (١٣٥٤ هـ).
- السلطان عبد الحفيظ بن الحسن العلوي أبو المواهب (١٣٥٦ هـ).
- أبو شعيب الدكّاليّ (١٣٥٦ هـ) وكان وزيرًا للعدل.
- عبد الحفيظ بن محمد الطاهر بن عبد الكبير الفاسي الفهري (١٣٨٣ هـ).
- ابن المؤقت محمد بن محمد بن عبد الله المؤقت المراكشي (١٣٦٨ هـ).
- محمد بن العربي العلوي (١٣٨٤ هـ) وكان وزيرًا للعدل أيضا.
- عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم النتيفي (١٣٨٥ هـ).
- محمد بن اليمني الناصري (١٣٩١ هـ).
- محمد الجزولي (١٣٩٣ هـ).
- صهيب بن محمد الزمزمي بن الصديق الغماري (بعد ١٣٩٧ هـ).
- محمد بن محمد بن العربي كنوني المذكوري (١٣٩٨ هـ).
- أحمد الخريصي (بعد ١٤٠٣ هـ).
- أحمد بن محمد بن عمر ابن تاويت التطواني (١٤١٤ هـ). انظر: موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية (مقدمة/ ٧٣)

(١) انظر مجموع الفتاوى (٤/ ١٧٧).

(٢) ذكر شيخ الحرمين: أبو الحسن محمد بن عبد الملك الكرجي الشافعي المتوفى سنة ٥٣٢هـ في كتابه الذي سماه «الفصول في الأصول عن الأئمة الفحول إلزاما لذوي البدع والفضول» من كلام الشافعي ومالك والثوري وأحمد بن حنبل والبخاري - صاحب الصحيح - وسفيان بن عيينة=

والأشاعرة من المالكية يتفاوتون في القرب من عقيدة السنة والبعد عنها فالأوائل من الأشاعرة ليسوا كالمتأخرين فأبو الحسن الأشعري وجمع من أصحابه وتلامذتهم يُثبتون علو الله تعالى على عرشه أما المتأخرون منهم فالأكثر على نفيه قولا واحدا بحجة أنه يلزم على اثباته التحيز والجهة.... إلخ.

وعليه: لا نضع الأشاعرة كلهم في مركب واحد فليس من أثبت العلو وبعض الصفات كمن نفاه؛ قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والأشعري وأئمة أصحابه، متفقون على إثبات الصفات الخبرية التي ذكرت في القرآن كالاستواء والوجه واليد، وإبطال تأويلها، وليس له في ذلك قولان أصلًا، ولم يذكر أحد عن الأشعري في ذلك قولين أصلًا، بل جميع من يحكي المقالات من أتباعه وغيرهم يذكر أن ذلك قوله، ولكن لأتباعه في ذلك قولان»(١).

كما أن في كلامهم من الأدلة الصحيحة وموافقة السنة ما لا يوجد في كلام عامة الطوائف فإنهم أقرب طوائف أهل الكلام إلى السنة والجماعة والحديث وهم يعدون من أهل السنة والجماعة عند النظر إلى مثل المعتزلة والرافضة وغيرهم بل هم أهل السنة والجماعة في البلاد التي يكون أهل البدع فيها هم المعتزلة والرافضة ونحوهم(٢).

وقد مر المذهب الأشعري عند علماء المالكية بثلاث مراحل:

الأولى: التأثر بالمتقدمين من علماء الأشاعرة كالأشعري والباقلاني مضمونا ومنهجا.

=وعبد الله بن المبارك والأوزاعي والليث بن سعد وإسحاق بن راهويه في أصول السنة ما يعرف به اعتقادهم. ثم قال: «ووجه ثالث لا بد من أن نبين فيه فنقول: إن في النقل عن هؤلاء إلزاما للحجة على كل من ينتحل مذهب إمام يخالفه في العقيدة فإن أحدهما لا محالة يضلل صاحبه أو يبدعه أو يكفره فانتحال مذهبه - مع مخالفته له في العقيدة - مستنكر والله شرعا وطبعا فمن قال: أنا شافعي الشرع أشعري الاعتقاد قلنا له: هذا من الأضداد لا بل من الارتداد إذ لم يكن الشافعي أشعري الاعتقاد. ومن قال: أنا حنبلي في الفروع معتزلي في الأصول قلنا: قد ضللت إذا عن سواء السبيل فيما تزعمه إذ لم يكن أحمد معتزلي الدين والاجتهاد». قال: «وقد افتتن أيضا خلق من المالكية بمذاهب الأشعرية وهذه والله سبة وعار وفلتة تعود بالوبال والنكال وسوء الدار على منتحل مذاهب هؤلاء الأئمة الكبار فإن مذهبهم ما رويناه: من تكفيرهم: الجهمية والمعتزلة والقدرية والواقفية وتكفيرهم اللفظية» انظر مجموع الفتاوى(٤/ ١٧٥-١٧٧).

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٢/ ١٧)

(٢) انظر: بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٨٧).

الثانية: التأثر بالجويني ومؤلفاته ككتابي الشامل والإرشاد وشرحها وفي هذه المرحلة تميز الفكر الأشعري بالتوسع في عرض الأفكار وتحليلها ومناقشة الجزئيات. وقد عبر عنها ابن خلدون فقال: «وكثر أتباع الشيخ أبي الحسن الأشعري واقتفى طريقته من بعده تلميذه كابن مجاهد وغيره واخذ عنهم القاضي أبو بكر الباقلاني فتصدر للإمامة في طريقتهم وهذبهم ووضع المقدمات العقلية التي تتوقف عليها الأدلة والأنظار ثم جاء بعد القاضي أبي بكر الباقلاني إمام الحرمين أبو المعالي فأملى في الطريقة كتاب الشامل وأوسع القول فيه ثم لخصه في كتاب الإرشاد واتخذه الناس إماما لعقائدهم»(١).

الثالثة: المرحلة السنوسية، وهي المرحلة التي دشنها أبو عبد الله السنوسي (٨٩٥هـ) حيث ألف المؤلفات الغزيرة في علم الكلام الأشعري فأقبل الناس يتعلمونها ويحفظون بعضها، ويدرسونها، ويشرحونها، وتستمد براهينها منه حتى آلت الرئاسة له واستمر هذا إلى يومنا هذا إذ لا تزال بعض الجوامع في المغرب العربي تقبل على تدريس بعض العقائد السنوسية وبعض الشروح عليها.(٢) وفي هذه المرحلة ظهر التعايش الواضح بين الفقه المالكي والعقائد الأشعرية والتصوف(٣).

ومع كل ما سبق فإنه لا يمكن إنكار الجهود التي بذلها المتكلمون من علماء المالكية وغيرهم وأخص بذلك المتقدمين من الأشاعرة من علماء المالكية في الرد على أهل البدع من المعتزلة والجهمية ومن وافقهم كما انتصروا للسنة والجماعة حتى صار شعارا عند الكثير منهم؛ فما من هؤلاء إلا من له في الإسلام مساع مشكورة وحسنات مبرورة وله في الرد على كثير من أهل الإلحاد والبدع والانتصار لكثير من أهل السنة والدين ما لا يخفى على من عرف أحوالهم وتكلم فيهم بعلم وصدق وعدل وانصاف(٤)، ولا ريب أن من اجتهد في طلب الحق والدين من جهة الرسول ﷺ وأخطأ

(١) مقدمة ابن خلدون (٤٦٥) باختصار.

(٢) انظر: تطور المذهب الأشعري (١٧٣-١٧٥).

(٣) انظر: تطور المذهب الأشعري (٢٢٦-٢٢٧).

(٤) قال ابن خلكان: «ولما ملك السلطان صلاح الدين الديار المصرية لم يكن بها شيء من المدارس فإن الدولة المصرية كان مذهبها مذهب الإمامية فلم يكونوا يقولون بهذه الأشياء فعمر=

في بعض ذلك فالله يغفر له خطأه تحقيقا للدعاء الذي استجابه الله لنبيه وللمؤمنين حيث قالوا ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة:٢٢٦][(١)].



=في القرافة الصغرى المدرسة المجاورة لضريح الإمام الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وبنى مدرسة بالقاهرة في جوار المشهد المنسوب إلى الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وجعل عليها وقفا كبيرا وجعل دار سعيد السعداء خادم المصريين خانقاه ووقف عليها وقفا طائلا وجعل دار عباس والعادل ابن السلار مدرسة للحنفية وعليها وقف جيد أيضا والمدرسة التي بمصر المعروفة بزين التجار وقفا على الشافعية ووقفها جيد أيضا وبنى بالقاهرة داخل القصر مارستانا وله وقف جيد وله بالقدس مدرسة أيضا وقفها كثير وخانقاه بها أيضا وله بمصر مدرسة للمالكية « وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان(٧/ ٢٠٦-٢٠٧)

(١) انظر: درء التعارض(٢/ ١٠٢-١٠٣).

المبحث الثاني:
أسباب مخالفة المتأخرين من علماء المالكية[1]

(١) ذكر المحققون من أهل العلم أسباب كثيرة في دخول البدع وانتشارها وهي أسباب عامة لا تختص بمذهب أو ببدعة وسوف أشير إليها هنا كما يأتي:

١- انتشار كتب الفلسفة في بلاد المسلمين:

قال المقريزي: «كان المأمون عبد الله بن هارون الرشيد سابع خلفاء بني العباس ببغداد، لما شغف بالعلوم القديمة. بعث إلى بلاد الروم من عرّب له كتب الفلاسفة وأتاه بها في أعوام بضع عشرة سنة ومائتين من سني الهجرة، فانتشرت مذاهب الفلاسفة في الناس، واشتهرت كتبهم بعامّة الأمصار، وأقبلت المعتزلة والقرامطة والجهمية وغيرهم عليها، وأكثروا من النظر فيها والتصفح لها، فانجرّ على الإسلام وأهله من علوم الفلاسفة ما لا يوصف من البلاء والمحنة في الدين، وعظم بالفلسفة ضلال أهل البدع وزادتهم كفرا إلى كفرهم. واشتهرت مذاهب الفرق من القدرية والجهمية والمعتزلة والكرّامية والخوارج والروافض والقرامطة والباطنية، حتى ملأت الأرض، وما منهم إلّا من نظر في الفلسفة وسلك من طرقها ما وقع عليه اختياره، فلم تبق مصر من الأمصار ولا قطر من الأقطار، إلا وفيه طوائف كثيرة ممن ذكرنا» المواعظ والاعتبار بذكر الخطط ولآثار(٤/ ١٩١) باختصار.

٢- الجهل:

والمراد به هنا: الجهل بمقاصد الشريعة والتخرص على معانيها بالظن من غير تثبت، ولقد أشار الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى هذا السبب وأثره في ظهور البدع فقال: «وقد وقع لابن عباس تفسير ذلك على معنى ما نحن فيه، فخرج أبو عبيد في فضائل القرآن، وسعيد بن منصور في تفسيره عن إبراهيم التيمي قال: خلا عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ذات يوم، فجعل يحدث نفسه: كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد؟ فأرسل إلى ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا فقال: كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد وقبلتها واحدة ـ زاد سعيد وكتابها واحد ـ قال، فقال ابن عباس: يا أمير المؤمنين: إنما أنزل علينا القرآن فقرأناه، وعلمنا فيما أنزل، وأنه سيكون بعدنا أقوام يقرءون القرآن ولا يدرون فيما نزل، فيكون لهم فيه رأي، فإن كان لهم فيه رأي اختلفوا، وقال سعيد: فيكون لكل قوم فيه رأي، فإذا كان كذلك اختلفوا، وقال سعيد فيكون لكل قوم فيه رأي اختلفوا فإذا اختلفوا اقتتلوا. قال: فزجره عمر وانتهره علي فانصرف ابن عباس، ونظر عمر فيما قال فعرفه، فأرسل إليه وقال: أعد علي ما قلته. فأعاد عليه، فعرف عمر قوله وأعجبه.

وما قاله ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا هو الحق، فإنه إذا عرف الرجل فيما نزلت الآية أو السورة عرف مخرجها وتأويلها وما قصد بها، فلم يتعد ذلك فيها، وإذا جهل فيما أنزلت احتمل النظر فيها أوجها. فذهب كل إنسان مذهبا لا يذهب إليه الآخر، وليس عندهم من الرسوخ في العلم ما=

....

=يهديهم إلى الصواب، أو يقف بهم دون اقتحام حمى المشكلات، فلم يكن بد من الأخذ ببادي الرأي، أو التأويل بالتخرص الذي لا يغني من الحق شيئا، إذ لا دليل عليه من الشريعة، فضلوا وأضلوا؛ قال الميلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «رؤوس الفتنة من أبناء المسلمين؛ بين مدع للتصوف، ومنتسب للعلم، ومنتصب للحكم، ومفتخر بحمله للقرآن».

ومن الجهل: اجتهاد علماء الكلام في الرد على المخالفين مع عدم علمهم الكامل بأصول المخالفين وطرد مذهبهم؛ فلزمهم بسبب ذلك من الأقوال ما أنكره المسلمون من أهل العلم والدين.

ومن الجهل أيضا: الجهل باللغة العربية وأساليبها؛قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما جهل الناس واختلفوا إلا لتركهم لسان العرب وميلهم إلى لسان أرسطا طاليس»

وقال الشاطبي في أثر الجهل بالعربية: «ولعلك إذا استقريت أهل البدع من المتكلمين، أو أكثرهم وجدتهم من أبناء سبايا الأمم، ومن ليس له أصالة في اللسان العربي، فعما قريب يفهم كتاب الله على غير وجهه، كما أن من لم يتفقه في مقاصد الشريعة فهمها على غير وجهها».

وكان الحسن البصري يقول: «أهلكتكم العجمة تتأولون القرآن على غير تأويله»

ومن هنا فإن علم الكلام لا يدل على النضج العقلي أو التفكير الحر كما يصور ذلك البعض بل العكس؛ فالجهل في اصطلاحات اللغة العربية اثرت في كثير من أصول الاعتقاد التي خالف فيها كثير من علماء المالكية المتأخرين متقدميهم.

ومن هذا الجهل ما ذهب إليه كثير من الباحثين في الفكر الأشعري قديما وحديثا من المالكية وغيرهم من أن المذهب الأشعري هو «المذهب الوسطي الذي يتوسط الاتجاه المعتزلي المغالي في اعطاء اولوية العقل على النقل والاتجاه السني المتطرف -كما يزعمون - في دعوته إلى الالتزام بحرفية النص الديني وعدم الاستئناس بالعقل وتأويلاته» انظر على الترتيب:الاعتصام (٢/ ٦٩١) (٢/ ٦٨٠-٦٨٣)، (١/ ٢٣٩)،رسالة الشرك ومظاهره(٤٢٤)،درء التعارض (٢/ ١٠٤،١٠٢)، فضل علم السلف على الخلف لابن رجب(٩٩)،جامع بيان العلم وفضله (١/ ٦٢٠)،الجامع لأخلاق الراوي (١/ ٢٠٦)،الحوادث والبدع(٨١)، منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين(٥٨).

٣- اتباع الهوى:

من أسباب الخلاف اتباع الهوى؛ ولذلك سمي أهل البدع أهل الأهواء لأنهم اتبعوا أهواءهم فلم يأخذوا الأدلة الشرعية مأخذ الافتقار إليها، والتعويل عليها، حتى يصدروا عنها، بل قدموا أهواءهم، واعتمدوا على آرائهم، ثم جعلوا الأدلة الشرعية منظورا فيها من وراء ذلك، واتباع الهوى مذموم كله؛ فهو أصل الزيغ عن الصراط المستقيم. قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ﴾ [آل عمران: ٧]- أي ميل عن الحق- ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧] وقد تقدم معنى الآية،=

السبب الأول: مناصرة الخلفاء والحكام ووزرائهم للانحراف والدعوة إليه:

لما كان قيام الإسلام بطائفتي العلماء والأمراء، وكان الناس كلهم لهم تبعا، كان صلاح العالم بصلاح هاتين الطائفتين، وفساده بفسادهما، كما قال سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ: «قيل: صنفان من الناس إذا صلحا صلح الناس، القراء والأمراء»(١)؛ وقال عبد الله بن المبارك:

رأيت الذنوب تميت القلوب ... وقد يورث الذل إدمانها
وترك الذنوب حياة القلوب ... وخير لنفسك عصيانها
وهل أفسد الدين إلا الملوك ... وأحبار سوء ورهبانها(٢)

=فمن شأنهم أن يتركوا الواضح ويتبعوا المتشابه، عكس ما عليه الحق في نفسه.

وقد دل على ذمه القرآن في قوله: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: ٢٣] الآية، ولم يأت في القرآن ذكر الهوى إلا في معرض الذم. حكى ابن وهب عن طاوس أنه قال: ما ذكر الله هوى في القرآن إلا ذمه، وقال: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠] إلى غير ذلك من الآيات. وحكى أيضا عن عبد الرحمن بن مهدي أن رجلا سأل إبراهيم النخعي عن الأهواء: أيها خير؟ فقال: ما جعل الله في شيء منها مثقال ذرة من خير وما هي إلا زينة الشيطان وما الأمر إلا الأمر الأول. يعني ما كان عليه السلف الصالح.

قال الشيخ حسين بن غنام: «وله: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الروم:٣١] نهي من الله تعالى لرسوله وأمته أجمعين أن يتبعوا سنن المشركين، الذين آثروا الهوى، فآل بهم إلى الافتراق في الدين».

وقال ابن قتيبة رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان المتناظرون فيما مضى يتناظرون في معادلة الصبر بالشكر وفي تفضيل أحدهما على الآخر وفي الوساوس والخطرات ومجاهدة النفس وقمع الهوى فقد صار المتناظرون يتناظرون في الاستطاعة والتولد والطفرة والجزء والعرض والجوهر فهم دائبون يخبطون في العشوات قد تشعبت بهم الطرق وقادهم الهوى بزمام الردى» انظر على الترتيب الاعتصام (٢/ ٦٨٤-٦٨٨)، العقد الثمين (٢٠٦)، الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية (١٩).

٤- التلبيس على الناس باستعمال الألفاظ المجملة التي يظن الظان أن لا يدخل فيها إلا الحق وقد دخل فيها الحق والباطل فمن لم ينقب عنها أو يستفصل المتكلم بها كما كان السلف والأئمة يفعلون صار متناقضا أو مبتدعا ضالا من حيث لا يشعر وكثير ممن تكلم بالألفاظ المجملة المبتدعة كلفظ الجسم والجوهر والعرض وحلول الحوادث ونحو ذلك كانوا يظنون أنهم ينصرون الإسلام بهذه الطريقة وأنهم بذلك يثبتون معرفة الله وتصديق رسوله فوقع منهم من الخطأ والضلال ما أوجب ذلك. انظر درء التعارض (٢/ ١٠٤).

(١) رواه الدينوري المالكي في المجالسة وجواهر العلم (٢/ ٣٠٨- رقم ٤٦٩).

(٢) انظر: أعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم (١/ ٨).

ومن هنا فإن مناصرة السلطان للمذاهب الكلامية من أبرز الأسباب التي صرفت كثيرا من الناس وخاصة العامة منهم عن مذهب السلف وإلا فهي قبل ذلك كانت ذات طابع فردي[١]، وحتى لو وجدت مقاومة من العلماء إلا أن مناصرة الخلفاء لهذه المذاهب وتأييدهم لها لابد وأن يضع بذوره في فكر الناس وفي تعليمهم وعلمائهم ولذلك كان للدولة التي حملت الناس على هذه المذاهب وامتحنتهم أكبر الأثر في التغير الذي طرأ على كثير من أهل العلم حيث ظهرت الفتنة بين علماء المالكية والخلفاء ووزرائهم وبدأ حملهم بالترغيب أو الترهيب إلى مخالفة السلف[٢] **كما سيأتي عرض موجز لبعض الأمثلة على ذلك:**

- قال محمد بن سحنون رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لما ولي أبو جعفر أحمد بن الأغلب العهد لأخيه محمد وكانت الإمارة لأخيه محمد بن الأغلب ففوض إليه الأمر والنهي دعا الناس إلى المحنة في خلق القرآن وأظهره على المنابر في كثير من المساجد»[٣].

- قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأمر الشيعي الخبيث أن لا يفتى بمذهب مالك، ولا يفتى إلا بمذهب أهل البيت ويرون إسقاط طلاق البتة فبقي من يتفقه لمالك إنما يتفقه خفية»[٤].

وقال المقريزي: «وقوى مع ذلك أمر الخلفاء الفاطميين بإفريقية وبلاد المغرب، وجهروا بمذهب الإسماعيلية وبثوا دعاتهم بأرض مصر، فاستجاب لهم خلق كثير من أهلها، ثم ملكوها سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وبعثوا بعساكرهم إلى الشام فانتشرت مذاهب الرافضة في عامّة بلاد المغرب ومصر والشام وديار بكر والكوفة والبصرة وبغداد، وجميع العراق، وبلاد خراسان، وما وراء النهر مع بلاد الحجاز واليمن والبحرين، وكانت بينهم وبين أهل السنة من الفتن والحروب والمقاتل ما لا يمكن حصره لكثرته»[٥].

---

(١) انظر الاستقصاء للناصري (١/ ١٤٠)،تطور المذهب الأشعري (٧٥).

(٢) وفي ذلك يقول القيرواني: «رحم الله بني امية لم يكن فيهم قط خليفة ابتدع في الإسلام بدعة»انظر صون المنطق للسيوطي (١/ ٤٢).

(٣) المحن (٤٦٢-٤٦٣) ترتيب المدارك (١/ ٣٥٤)،وانظر مابعدها في ذكر تفاصيل امتحان الإمام سحنون رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٤) سير أعلام النبلاء(١٤/ ٢١٦)، وانظر: البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب(١/ ٦٧).

(٥) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (٤/ ١٩١).

- وقال أيضا: «لما ملك السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ديار مصر، عقدوا الخناصر وشدّوا البنان على مذهب الأشعري، وحملوا في أيام دولتهم كافة الناس على التزامه، فتمادى الحال على ذلك جميع أيام الملوك من بني أيوب، ثم في أيام مواليهم الملوك من الأتراك»(١).

- وقال: «توجه أبو عبد الله محمد بن تومرت أحد رجالات المغرب إلى العراق، وأخذ عن أبي حامد الغزاليّ مذهب الأشعري، فلما عاد إلى بلاد المغرب وقام في المصامدة يفقههم ويعلمهم، وضع لهم عقيدة لقفها عنه عامّتهم، ثم مات فخلفه بعد موته عبد المؤمن بن عليّ القيسيّ، وتلقب بأمير المؤمنين، وغلب على ممالك المغرب هو وأولاده من بعد مدّة سنين، وتسموا بالموحدين، فلذلك صارت دولة الموحدين ببلاد المغرب تستبيح دماء من خالف عقيدة ابن تومرت، إذ هو عندهم الإمام المعلوم، المهديّ المعصوم، فكم أراقوا بسبب ذلك من دماء خلائق لا يحصيها إلّا الله خالقها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كما هو معروف في كتب التاريخ، فكان هذا هو السبب في اشتهار مذهب الأشعري وانتشاره في أمصار الإسلام، بحيث نسي غيره من المذاهب، وجهل حتى لم يبق اليوم مذهب يخالفه، إلّا أن يكون مذهب الحنابلة أتباع الإمام أبي عبد الله أحمد ابن محمد بن حنبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فإنهم كانوا على ما كان عليه السلف، لا يرون تأويل ما ورد من الصفات»(٢).

السبب الثاني: وجود عدد من علماء المذهب المالكي الأعلام الذين اعتمدوا علم الكلام وألفوا في تقريره ثم رحلاتهم في نشره والدفاع عنه ومنهم الباقلاني والباجي اللذان يعدان من أعلام المذهب المالكي(٣).

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (٤/ ١٩٢) باختصار وانظر (٤/ ١٦٦-١٦٧)، صون المنطق للسيوطي (١/ ٤٢).

(٢) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (٤/ ١٩٢) وانظر (٤/ ١٦٦-١٦٧)، الاستقصا (١/ ١٩٦-١٩٧)، وانظر مقدمة ابن خلدون (٢٣٠)، طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٣٧٨)، نظر الأكياس (٩٦ - ٧٠)، تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي (٨٠-٨١) موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية (مقدمة/ ٦٨).

(٣) انظر: تطور المذهب الأشعري (٣٥)، (٥٥). وانظر: المهدي بن تومرت للنجار (٤٣٥).

قال المقريزي: «وحقيقة مذهب الأشعري: رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أنه سلك طريقا بين النفي الذي هو مذهب الاعتزال، وبين الإثبات الذي هو مذهب أهل التجسيم، وناظر على قوله هذا واحتج لمذهبه، فمال إليه جماعة وعوّلوا على رأيه، منهم القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلانيّ المالكيّ، وأبو بكر محمد بن الحسن بن فورك، والشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن مهران الأسفراينيّ، والشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن عليّ بن يوسف الشيرازيّ، والشيخ أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزاليّ، وأبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستانيّ، والإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازيّ، وغيرهم ممن يطول ذكره، ونصروا مذهبه وناظروا عليه وجادلوا فيه واستدلوا له في مصنفات لا تكاد تحصر، فانتشر مذهب أبي الحسن الأشعري في العراق من نحو سنة ثمانين وثلاثمائة وانتقل منه إلى الشام»(١).

ولقد كان مجموعة من كبار طلبة العلم بالأندلس والمغرب، وتونس يتجهون في بداية حياتهم العلمية إلى المشرق فيتلقون دراستهم الفقهية والعقدية على كبار الأشاعرة هناك، وعند عودتهم إلى بلدانهم يعودون مقتنعين أشد ما يكون الاقتناع بهذا المذهب وبضرورة نشره وتعميمه بين الناس(٢).

السبب الثالث: بث الدعاة والطلاب في الافاق للدعوة وقيام المدارس الخاصة بنشر المذاهب المخالفة في بلاد المسلمين:

قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ترجمة الهروي: «أخذ الكلام ورأي أبي الحسن عن القاضي أبي بكر بن الطيب وبث ذلك بمكة وحمله عنه المغاربة إلى المغرب والأندلس وقبل ذلك كانت علماء المغرب لا يدخلون في الكلام بل يتقنون الفقه أو الحديث أو العربية ولا يخوضون في المعقولات وعلى ذلك كان الأصيلي، وأبو الوليد بن الفرضي، وأبو عمر الطلمنكي، ومكي القيسي، وأبو عمر الداني، وأبو عمر بن عبد البر والعلماء»(٣).

وقال ابن عساكر في الإمام الباقلاني: «خلف بعده من تلاميذه جماعة كثيرة تفرقوا

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (٤/ ١٩٢).

(٢) انظر: اراء ابن العربي الكلامية للطالبي (٥٢)، تطور المذهب الأشعري (١٠١).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٥٧)، وانظر: درء التعارض (٢/ ١٠١)، تبيين كذب المفتري (٢٠/ ١٢٢).

في البلاد أكثرهم بالعراق وخراسان ونزل منهم إلى المغرب رجلان أحدهما أبو عبد الله الأزدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وبه انتفع أهل القيروان وترك بها من تلاميذه مبرزين مشاهير جماعة أدركت أكثرهم.. والثاني أبو طاهر البغدادي»[١].

السبب الرابع: ظهور أولئك العلماء بعد ظهور المعتزلة والجهمية وانتسابهم للسلف وكثرة ردودهم على المعتزلة والجهمية والباطنية والرافضة:

مما يثنى فيه على الأشاعرة اجتهادهم في الرد على المعتزلة وإبطال أقوالهم وهذه هي طريقة السلف رَحِمَهُمُ اللَّهُ من المالكية وغيرهم في التعامل مع البدع واهلها، فلما اشتدت الأشاعرة في الرد عليهم ظن الجهلة من الناس أن مذهبهم هو مذهب السلف وامتداد لما كانوا عليه[٢].

قال الإمام الذهبي في ترجمة الباقلاني: «هو الذي كان ببغداد يناظر عن السنة وطريقة الحديث بالجدل والبرهان وبالحضرة رؤوس المعتزلة والرافضة والقدرية وألوان البدع ولهم دولة وظهور بالدولة البويهية وكان يرد على الكرامية وينصر

(١) تبيين كذب المفتري (١٢٠-١٢٢).

(٢) قال المآيرقى:ولم يكن أبو الحسن أول متكلم بلسان أهل السنة إنما جرى على سنن غيره وعلى نصرة مذهب معروف فزاد المذهب حجة وبيانا ولم يبتدع مقالة اخترعها ولا مذهبا انفرد به ألا ترى أن مذهب أهل المدينة نسب إلى مالك ومن كان على مذهب أهل المدينة يقال له مالكى ومالك إنما جرى على سنن من كان قبله وكان كثير الاتباع لهم إلا أنه لما زاد المذهب بيانا وبسطا عزى إليه كذلك أبو الحسن الأشعرى لا فرق ليس له فى مذهب السلف أكثر من بسطه وشرحه وتواليفه فى نصرته..
ثم ذكر المآيرقى رسالة الشيخ أبى الحسن القابسى المالكى التى يقول فيها واعلموا أن أبا الحسن الأشعرى لم يأت من علم الكلام إلا ما أراد به أيضاح السنن والتثبت عليها
إلى أن يقول القابسى وما أبو الحسن إلا واحد من جملة القائمين فى نصرة الحق ما سمعنا من أهل الإنصاف من يؤخره عن رتبة ذلك ولا من يؤثر عليه فى عصره غيره ومن بعده من أهل الحق سلكوا سبيله إلى أن قال لقد مات الأشعرى يوم مات وأهل السنة باكون عليه وأهل البدع مستريحون منه، وذكر قول الشيخ أبى محمد عبد الله بن أبى زيد فى جوابه لمن لامه فى حب الأشعرى ما الأشعرى إلا رجل مشهور بالرد على أهل البدع وعلى القدرية الجهمية متمسك بالسنن انظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٣/ ٣٦٧)، وانظر: تبيين كذب المفتري لابن عساكر (١/ ١٢٣)..

الحنابلة عليهم بينه وبين أهل الحديث عامر وإن كانوا قد يختلفون في مسائل دقيقة»(١)

السبب الخامس: التقليد:

والمراد به هنا التقليد المذموم وهو اتباع ما كان عليه الآباء والأشياخ، وأشباه ذلك، فإن الله ذم ذلك في كتابه بقوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: ٢٢] الآية. ثم قال: ﴿۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٢٤﴾ [الزخرف: ٢٤] وفيما يروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إياكم والاستنان بالرجال، فإن الرجل يعمل بعمل أهل الجنة ثم ينقلب لعلم الله فيه فيعمل بعمل أهل النار فيموت وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار، فينقلب لعلم الله فيه فيعمل بعمل أهل الجنة فيموت وهو من أهل الجنة، فإن كنتم لا بد فاعلين، فبالأموات لا بالأحياء(٢).

ولقد انتقد الإمام ابن عبد البر ما كان في عصره من التقليد والغلو في الاتباع دون رجوع إلى النص فقال رحمه الله: «واعلم أنه لم تكن مناظرة بين اثنين أو جماعة من السلف إلا لتفهم وجه الصواب فيصار إليه ويعرف أصل القول وعلته؛ فيجرى عليه أمثلته ونظائره وعلى هذا الناس في كل بلد إلا عندنا كما شاء الله ربنا، وعند من سلك سبيلنا من أهل المغرب فإنهم لا يقيمون علة ولا يعرفون للقول وجها وحسب أحدهم أن يقول فيها رواية لفلان ورواية لفلان ومن خالف عندهم الرواية التي لا يقف على معناها وأصلها وصحة وجهها فكأنه قد خالف نص الكتاب وثابت السنة، ويجيزون حمل الروايات المتضادة في الحلال والحرام، وذلك خلاف أصل مالك، وكم وكم لهم من خلاف أصول مذهبه مما لو ذكرناه لطال الكتاب بذكره، ولتقصيرهم عن علم الأصول مذهبهم صار أحدهم إذا لقى مخالفا ممن يقول بقول أبي حنيفة أو الشافعي أو داود بن علي أو غيرهم من الفقهاء، وخالفه في أصل قوله بقى متحيرا ولم يكن عنده أكثر من حكاية قول صاحبه، فقال هكذا قال فلان وهكذا روينا، ولجأ إلى أن يذكر فضل مالك ومنزلته، فإن عارضه الآخر بذكر فضل إمامه أيضا صار في المثل كما

(١) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٥٨) قال الدارقطني رحمه الله فيه: «هذا إمام المسلمين والذاب عن الدين هذا القاضي ابو بكر محمد بن الطيب»

(٢) الاعتصام للشاطبي (٢/ ٦٩٠) باختصار والاثر أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (١٨٨١)، وابن حزم في الأحكام (٦/ ٣١٨)، وابن بطة في الإبانة قسم القدر (١٥٧٢).

قال الأول: شكونا إليهم خراب العراق فعابوا علينا شحوم البقر، فكانوا كما قيل فيما مضى: أريها السها وتريني القمر»[(١)].

قال شاعر المغرب معبرا عن ذلك:

مذْهبي تقبيلُ خدّ مُذْهَبِ سيّدي ... مــاذا تــرى في مَذْهبـي

لا تخالـف مالكًـا في رأيـه ... فعليه جلّ أهل المغـربِ[(٢)]

قال محمد الفاسي الحجوي[(٣)]: «وحاصله أنه من زمن خليل إلى الآن زادت العقول فترة والهمم ركودا، وتخدرت الأفكار بشدة الاختصار والإكثار من الفروع التي لا يحاط بها والصورة النادرة، فاقتصروا على خليل وشروحه، حتى قال الناصر اللقاني: إنما نحن خليليون إن ضل ضللنا. قال أحمد السوداني: وذلك دليل دروس الفقه وذهابه، فقد صار الناس من مصر إلى المحيط الغربي خليليين لا مالكية إلى هنا انتهت الحالة»[(٤)].

ومما يدل على التقليد كثرة الشروح التي ألفت لشرح مجموعة من الرسائل في الاعتقاد اتفقت جميعها على تكييف مضامينها مع الطابع الأشعري، حتى وإن كانت تلك الرسائل موافقة لمذهب أهل السنة والجماعة كمقدمة ابن أبي زيد القيرواني، أو موافقة للمذهب الأشعري كالإرشاد للجويني[(٥)] حتى أصبحت إجازات العلماء تعطى

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٧١-١٧٢).

(٢) القائل هو مالك بن المرحل المالكي المتوفى سنة ٦٩٩هـ. انظر: تاريخ الإسلام(٥٢/ ٤٣٧)، بغية الوعاة (٢/ ٢٧١)، أعيان العصر (٤/ ١٨٨)..

(٣) هو محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي الجعفري الفلالي: من رجال العلم والحكم، من المالكية السلفية في المغرب. له كتب مطبوعة، أجلها (الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي) و (ثلاث رسائل في الدين)، توفي سنة ١٣٧٦هـ.
انظر: الأعلام للزركلي(٦/ ٩٦).

(٤) الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي للحجوي (٢/ ٢٨٧).

(٥) من شروح الإرشاد:
١- المهاد في شرح الإرشاد للمازري(ت٥٣٠هـ).
٢- نكت على شرح الإرشاد لابن المراة الأندلسي(ت٦١١هـ)مخطوط.
٣- كفاية طالب الكلام إلى شرح الإرشادلأبي يحيى زكريا بن يحيى الشريف الإدريسي الحسني، توجد قطعة منه بخزانة القرويين تحت رقم: ٧٢٩.

على قراءتها[(١)].

قال البرزلي: «ومن شدا في العلم وأراد التفنن فليطلب المطولات من كتب الباقلاني وإمام الحرمين أبي المعالي وأوجز تواليفه منها الإرشاد قرأناه على أشياخنا وهو أسلم العقائد المقرونة بحججها وبالله التوفيق»[(٢)].

ومن هنا أرجع بعض الباحثين انتشار العقائد السنوسية بين المالكية إلى التقليد الذي طغا في مسائل الاعتقاد حين قل العلماء البارزون في هذا المجال في القرن التاسع الهجري حتى كانت النازلة العقدية لا تجد من يبت فيها فيضطر الناس معها إلى رفعها إلى فقيه متمكن بعيد، وكانت النقاشات العقدية آنذاك هزيلة وسطحية بين مجموعة من العلماء الذين هيمن عليهم التعصب والتمسك بالرأي من غير حجة ولا دليل حتى ظهرت كتب السنوسي ومؤلفاته العقدية في علم الكلام الأشعري فظن الناس أنها غطت النقص الحاصل انذاك.[(٣)]

السبب السادس: موت العلماء

وعليه نبه الرسول ﷺ فقال: «لا يقبض الله العلم انتزاعا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»[(٤)].

= ٤- الاسعاد في شرح الإرشاد لابن بزيزة (ت٦٦٢هـ)مخطوط.
٥- شرح الإرشاد لأبي بكر بن ميمون القرطبي.مطبوع
٦- اقتطاف الأزهار واستخراج نتائج الافكار لأبي بكر الخفاف.مفقود.
٧- منهاج السداد في شرح الإرشاد لابن البقري الغرناطي(ت٥٥٢)مفقود.
٨- شرح تقي الدين أبي العز بن مظفر المقترح (٦١٢هـ)واكمله تلميذه شرف الدين التلمساني الفهري (ت٦٤٤هـ) مخطوط.
٩- شرح الإرشاد لأبي إسحاق إبراهيم بن يوسف بن دهاق المعروف بابن المرأة الأندلسي(٦١٦هـ)، وضعه في خمسة مجلدات. توجد نسخة منه في دار الكتب المصرية تحت رقم: ٦ توحيد.
انظر: تطور المذهب الأشعري(١٣٦-١٥٧)،الديباج المذهب(٩٠)، فهرسة اللبي(٢٥).

(١) انظر: فهرست اللبلي (٨).
(٢) فتاوى البرزلي(٦/ ٣٦٦-٣٦٧).
(٣) انظر تطور المذهب الأشعري(١٧٦-١٧٨).
(٤) رواه البخاري في صحيحه (كتاب العلم-باب كيف يقبض العلم-ح١٠٠) ورواه مسلم في صحيحه (كتاب العلم-باب رفع العلم وقبضه-ح١٠٠).

قال بعض أهل العلم: تقدير هذا الحديث يدل على أنه لا يؤتى الناس قط من قبل علمائهم، وإنما يؤتون من قبل أنه إذا مات علماؤهم أفتى من ليس بعالم. فيؤتى الناس من قبله، وقد صرف هذا المعنى تصريفا، فقيل: ما خان أمين قط ولكنه ائتمن غير أمين فخان. قال ونحن نقول: ما ابتدع عالم قط، ولكنه استفتي من ليس بعالم»[١].

ولقد واجه علماء المالكية الكثير من النكبات أيام بني عبيد والفاطميين وفتنة البربر والتي مات بسببها كثير منهم، أما من بقي منهم فقد ولوا إلى التصوف والابتعاد عن واقع الناس حتى صار تدريس التصوف هو موضوع الحِلَق بدلا من تدريس الفقه والأصول قنوطا من تغيير الواقع أو محاولة لتربية الناس على الصبر والابتلاء حتى لا ينزلقوا في كفة الشيعة[٢].

السبب السابع:

تأليف المقدمات والمنظومات[٣] في تقرير المذهب الأشعري بأسلوب مبسط

---

(١) انظر الاعتصام (٢/ ٦٨٠-٦٨٣)

(٢) انظر: المدارك (٥/ ٣١٠-٣١٢)،رياض النفوس(١/ ٤٩٥-٤٩٦)،أعلام الفكر(٤٥-٤٦)، المذهب المالكي مدارسه ومؤلفاته (٩٩-١٠١)،(١٠٧-١٠٨)

(٣) من هذه المنظومات:

١- منظومة التنبيه والإرشاد لأبي الحجاج الضرير(ت ٥٢٠)وقد تولى تدريسها بنفسه في مراكش ثم اخذها عنه مجموعة من كبار علماء المغرب في تلك الفترة وتتالت عملية تدريسها بعده في جوامع الأندلس والمغرب وتونس وممن تولى تدريسها:الالبيري(٥٣٧هـ)وابو بكر الفخار والسكوني وعلي بن ثابت التلمساني(٨٢٩هـ) واحمد بن العباس الشهير بالمريض والزواوي. انظر: الغنية للقاضي عياض(٢٢٦)،تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي(٨٤-٨٥)

٢- عقيدة المرشدة لابن تومرت التي قيل فيها مبالغة في قبولها «فقد أجمعت الائمة على صحة هذه العقيدة ولا غير وانها مرشدة رشيدة لم يترك المهدي رضي الله عنه أحسن منها وسيلة»وقد لاقت اهتماما كبيرا من طرف الشراح في فترات زمنية مختلفة وفي أماكن من الغرب الإسلامي متباينة وممن شرحها: ابو عبد الله السكوني والتلمساني في «الدرة المشيدة في شرح عقيدة المرشدة»والخراط وابن النقاش في»الدرة المفردة في شرح العقيدة المرشدة»وابي عبد الله الشيباني الطرابلسي وابي زكريا التنسي في: «الأنوار المبينة المؤيدة لمعاني عقد عقيدة المرشدة» وابي عثمان الحاجي وابي بكر الكابري وغيرها.انظر: المهدي بن تومرت للنجار(٤٥٧)،تطور المذهب الأشعري(٩٢-٩٣)

٣-عقيدة البرهانية في علم الالوهية لأبي عمرو السلالجي(ت ٥٧٤هـ)وقد اهتم بشرحها الكثير من=

وصياغة ماتعة ترجع في مجملها إلى كتاب الارشاد للجويني (١) والقيام بتدريسها للناس في الجوامع بحيث سهلت انتشار المذهب الأشعري وتغلغله وتكريسه.

السبب الثامن:

نسبة بعض علماء أهل السنة المعتبرين في المذهب المالكي إلى المذهب الأشعري والتنظير لذلك حتى يعتقد القارئ أنه منهم، ومن هؤلاء الإمام ابن أبي زيد القيرواني الملقب بمالك الصغير فقد ذهب بعض الباحثين والمترجمين له(٢) إلى اعتباره أشعريا

=علماء الأشعرية حتى القرن التاسع،وممن شرحها ابن الكتاني الفندلاوي والخفاف والرعيني وابن بزيزة وابو الحسن الطنجي وغيرهم. قام الدكتور جمال علال البختي في بحثه حول الفكر الأشعري بالمغرب (دراسة لبرهانية السلالجي) بحصر شروح البرهانية-والتي نص على أنها ليست كلها متوفرة ومطبوعة، بل جلها مفقود أو مرهون في مكتبات عامة وخاصة يصعب الوصول إليها- **ومن هذه الشروح:**

- شرح أبي عبد الله الكتاني(ت٥٩٦هـ) وقد نسبه إليه اليفرني في المباحث العقلية.
- شرح الرعيني(ت٥٩٨هـ) ذكره الهبطي في رسالة في الأحوال.
- شرح ابن الزق(كان حيا في سنة٦١٢هـ) لكنه مفقود، نقل عنه المديوني في شرحه.
-شرح الأستاذ الخفاف(توفي في:ق.٧هـ) ذكره المراكشي في الذيل والتكملة، وتوجد نسخ عدة منه مخطوطة، سماه «شرح العقيدة البرهانية» أوله الحمد لله الذي اخترع المحدثات بقدرته الخ.
- شرح ابن بزيزة (ت٦٧٣هـ) وقد نقل فيه عن ابن الكتاني لكن نصه مفقود، ويسمى شرح العقيدة البرهانية[٧].
- شرح اليفرني(ت٧٣٤هـ) وسماه «المباحث العقلية في شرح معاني العقيدة البرهانية»،ذكره أبو الحسن الطنجي من ضمن تآليف اليفرني، ويعتبر هذا الشرح أهم وأدق شرح للبرهانية، وتوجد منه أكثر من مخطوطتين في حالة جيدة.
- شرح العقباني (ت٨١١هـ) أبي عثمان سعيد بن محمد بن العقباني، وهو مطبوع بتحقيق: نزار حمادي ضمن كتاب سماه: «العقيدة البرهانية والفصول الإيمانية لأبي عمرو عثمان السلالجي، مع شرح العقيدة البرهانية لابن العقباني»عن مؤسسة المعارف للطباعة والنشر ببيروت-الطبعة الأولى/٢٠٠٨،
-بالإضافة أيضا إلى بعض الشروح والمختصرات الأخرى:كمختصر الجزولي(توفي في:ق١٠هـ) وتقييد للسملالي (توفي في:ق٩هـ)، وشرح المديوني، وشرح الجدميوي، وشرح التنبكتي، ونظم الهبطي.انظر: تطور المذهب الأشعري (١١٢-١١٤)

(١) انظر تطور المذهب الأشعري (١٣٦-١٣٧)

(٢) انظر: ترتيب المدارك(٤/ ٤٨٦)،المهدي بن تومرت(٤٣٤)، مجلة قطر الندى العدد الرابع السنة الأولى-بحث بعنوان ابو عمران الفاسي ومذهبيته الكلامية-د. خالد زهري-(٨٦).

والنص على ذلك من خلال مقدمة الرسالة التي ألفها رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة، بل إن كثيرا من الشراح والمحشين على هذه الرسالة من المالكية قاموا بما يدل على ذلك من اسقاط الشروح الأشعرية عليها.[(١)]

ومن هنا فإن القارئ للرسالة والشروح الأشعرية عليها يربط بين الإمام والأشعرية حتى يظنه المذهب الحق والأولى بالاتباع مع أنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ حذر من علم الكلام ومخالطة أهله فقال: «فاحذر ثم احذر وخلطة أهل الجدل والكلام فإن وجدت من صالحي رواة أهل الحديث وأهل الفقه فخالطهم دون غيرهم»[(٢)].

ومنهم أيضا أبو بكر المرادي[(٣)] حيث نقلت بعض كتب التراجم عنه قوله في القدر:

يقضي بأني محمول على القدر ... علمي بقبح المعاصي حين أركبها (أوثرها)
ما كنت أطرحها في لجة الغمر (الغرر) ... لو كنت أملك نفسي أو أصدقها (أدبرها)
أكن لأفعل أفعالا بلاقدر (لاقضي اقفالا على القدر) ... كلفت فعلا (حملت أمرا) ولم أقدر عليه ولم
فلم أشاركه في نفع ولا ضرر ... وكان في عدل (علم) ربي أن يعذبني
أو شاء صورني في أقبح الصور ... إن شاء نعمني أو شاء عذبني
عدلا علي فهب لي صفح مقتدر ... يارب عفوك عن ذنب قضيت به[(٤)].

والذي يظهر في هذا النقل التصريح بالقول بقول الأشاعرة في القدر خاصة في البيت الثاني والسادس، إلا أن هذا النقل لا يمكن الجزم بصحته على الاطلاق؛ قال ابن الأبار الأندلسي معلقا: «وروى أبو عمر بن عياد هذه الأبيات عن أبي محمد عبد الله

---

(١) انظر: تطور المذهب الأشعري (٤٦-٤٨)، عثمان السلالجي ومذهبيته الأشعرية (١٢٩).

(٢) تطور المذهب الأشعري (٤٨) نقلا عن مخطوط: رسالة الى طالب العلم لوحة رقم ٤٤٧٥.

(٣) هو محمد بن الحسن الحضرمي، المرادي، يكنى أبا بكر. ويعتبر كتاب «الإشارة في تدبير الإمارة»، من أشهر تآليفه،، وله «التجريد في علم الكلام» و « رسالة الإماء إلى مسألة الاستواء»، توفي المرادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٤٨٩).

انظر: الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض (٢٢٦)، الصلة لابن بشكوال الأنصاري (٢/ ٢١٦) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (٤/ ٢٥٣).

(٤) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض (٣/ ١٦٢)، الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض (٢٢٦) وانظر التكملة لكتاب الصلة (٣/ ١٩٥)، السفر الخامس من كتاب الذيل للمراكشي (٣٠٢)، مطلع الأنوار ونزهة البصائر للمالقي (٢٣١).

بن محمد بن مسعود الاشبيلي قال أنشدنا القاضي أبو مروان الباجي باشبيلية للمرادي ولم يذكر البيت الثاني ولا الأخير وقال في البيت الثالث:

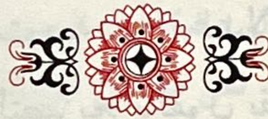
كلفت فعلا ولم أقدر عليه ولم   أكن لأفعل أفعالا بلا قدر

وجاز في عدل ربي البيت   ....

وهذه الرواية أصوب وقد روينا هذه الأبيات إجازة عن القاضي أبي بكر بن أبي حمزة عن القاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي قال أنشدنا أبو الحجاج يوسف بن موسى الكلبي الضرير قال أنشدني أبوبكر المرادي لنفسه في ذي الحجة على اثبات القدر ولم يذكر البيت الثاني وبين الروايتين يسير خلاف»[١].

وإذا كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ ألف رسالته المشهورة (الايماء إلى مسالة الاستواء) ونص فيها على اثبات علو الله تعالى واستواءه على العرش بلا كيف[٢].

فان هذا صريح في موافقته للسلف في القدر والعلو والاستواء ومخالفته الأشاعرة الذين يدعي البعض انتسابه لهم[٣].



(١) انظر: التكملة لكتاب الصلة (٣/ ١٩٥).

(٢) انظر: بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٣٣٣)، مختصر العلو للذهبي (٢٧٩).

(٣) انظر: مقدمة تحقيق رضوان السيد لكتاب «الإشارة» للمرادي.

المبحث الرابع:
أثر التصوف على المتأخرين من علماء المالكية



وفيه تمهيد وستة مطالب:

المطلب الأول: المراحل التي مر بها التصوف في المذهب المالكي.

المطلب الثاني: أهم أسباب دخول التصوف وانحرافه في المذهب المالكي.

المطلب الثالث: أثر التصوف على المتأخرين من علماء المالكية.

المطلب الرابع: الغلو بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام عند الصوفية من متأخري المالكية.

المطلب الخامس: الغلو في الأولياء عند متأخري المالكية.

المطلب السادس: الغلو في كرامات الأولياء عند متأخري المالكية.



تمهيد

مما يلفت النظر عند تأمل كتب المالكية على تنوع موضوعاتها وجود ارتباط بين علماء المالكية والتصوف سواء كانوا من المتقدمين أو من المتأخرين، حتى أنهم نسبوا إلى الإمام مالك قوله: «من تفقه ولم يتصوف تفسق»[1] **وهذه النسبة باطلة لأمور:**

١- أن مصطلح التصوف على الراجح من أقوال الباحثين لم يظهر في عهد الإمام مالك، بل ظهر في النصف الأول من القرن الثالث الهجري.

٢- أن كتب الطبقات الصوفية نسبت هذا القول لغير الإمام مالك حيث نسبه الشعراني في طبقاته الكبرى إلى علي الكازروني المتوفى سنة ٩٦٠هـ[2].

وارتباط التصوف بالمالكية متفاوت فقد يكون زهدا كما عند المتقدمين وقد يكون سلوكا كما عند المتأخرين، وقد تذم بدعه كما عند المتقدمين وقد تكون منهجا كما عند المتأخرين[3].

وما يعنينا هنا هو دراسة أثر التصوف على علماء المالكية وأعني به هنا المتأخرين منهم، فقد عرف علماء المالكية التصوف وأعلامه، وبينوا للناس وجه الحق والباطل فيه واستمر ذلك حتى عند المتأخرين منهم ممن وافق السلف؛ قال الشاطبي: «كل ما عمل به الصوفية المعتبرون في هذا الشأن كالجنيد وأمثاله لا يخلو: إما أن يكون مما ثبت له أصل في الشريعة فهم خلفاء فيه كما أن السلف من الصحابة والتابعين خلفاء بذلك، وإن لم يكن له أصل في الشريعة فلا عمل عليه؛ لأن السنة حجة على جميع الأمة، وليس عمل أحد من الأمة حجة على السنة لأن السنة معصومة من الخطأ، وصاحبها معصوم وسائر الأمة لم تثبت لهم عصمة إلا مع إجماعهم خاصة وإذا اجتمعوا تضمن إجماعهم دليلا شرعيا، فالصوفية كغيرهم ممن لم تثبت لهم العصمة يجوز عليهم

---

(١) انظر حاشية العدوي على شرح الزرقاني (٣/ ١٩٥)، شرح عين العلم وزين الحلم لملا علي قاري (١/ ٣٣).

(٢) (٢/ ١٥٦).

(٣) انظر تاريخ الفكر الأندلسي لبالنتيا (٣٣٦).

الخطأ والنسيان والمعصية كبيرها وصغيرها محرمها ومكروهها»[(١)].

وقال الشيخ محمد الامين الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قد قدمنا في سورة «مريم» ما يدل على أن بعض الصوفية على الحق. ولا شك أن منهم من هو على الطريق المستقيم من العمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وبذلك عالجوا أمراض قلوبهم وحرسوها، وراقبوها وعرفوا أحوالها، وتكلموا على أحوال القلوب كلاما مفصلا كما هو معلوم، كعبد الرحمن بن عطية، أو ابن أحمد بن عطية، أو ابن عسكر أعني أبا سليمان الداراني، وكعون بن عبد الله الذي كان يقال له حكم الأمة، وأضرابهما، وكسهل بن عبد الله التستري، أبي طالب المكي، وأبي عثمان النيسابوري، ويحيى بن معاذ الرازي، والجنيد بن محمد، ومن سار على منوالهم، لأنهم عالجوا أمراض أنفسهم بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، ولا يحيدون عن العمل بالكتاب، والسنة ظاهرا وباطنا، ولم تظهر منهم أشياء تخالف الشرع. فالحكم بالضلال على جميع الصوفية لا ينبغي، ولا يصح على إطلاقه، والميزان الفارق بين الحق، والباطل في ذلك هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. فمن كان منهم متبعا لرسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله، وهديه وسمته، كمن ذكرنا وأمثالهم، فإنهم من جملة العلماء العاملين، ولا يجوز الحكم عليهم بالضلال. وأما من كان على خلاف ذلك فهو الضال.

نعم، صار المعروف في الآونة الأخيرة، وأزمنة كثيرة قبلها بالاستقراء، أن عامة الذين يدعون التصوف في أقطار الدنيا إلا من شاء الله منهم دجاجلة يتظاهرون بالدين ليضلوا العوام الجهلة وضعاف العقول من طلبة العلم، ليتخذوا بذلك أتباعا وخدما، وأموالا وجاها، وهم بمعزل عن مذهب الصوفية الحق، لا يعملون بكتاب الله، ولا بسنة نبيه، واستعمارهم لأفكار ضعاف العقول أشد من استعمار كل طوائف المستعمرين. فيجب التباعد عنهم، والاعتصام من ضلالتهم بكتاب الله وسنة نبيه، ولو ظهر على أيديهم بعض الخوارق، ولقد صدق من قال:

إذا رأيت رجلا يطير	وفوق ماء البحر قد يسير
ولم يقف عند حدود الشرع	فإنه مستدرج أو بدعي

(١) معلمة التصوف الإسلامي لعبد العزيز بن عبد الله (٣/ ١٧١) نقلا عن الجيش الكفيل لمحمد الصغير.

والقول الفصل في ذلك هو قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾[الأحقاف:١٢٣-١٢٥][١].

وقد أنكر علماء المالكية المتقدمين والمتأخرين تلك البدع والمخالفات، ومن ذلك:

أ- انكارهم عليهم استباحة المحرمات؛ قال الشاطبي: «إن كثيرًا ليتوهمون أن الصوفية أبيح لهم أشياء لم تبح لغيرهم، لأنهم ترقوا عن رتبة العوام المنهمكين في الشهوات إلى رتبة الملائكة الذين سلبوا الاتصاف بطلبها والميل إليها، فاستجازوا لمن ارتسم في طريقهم إباحة بعض الممنوعات في الشرع بناء على اختصاصهم عن الجمهور... وهذا باب فتحته الزنادقة بقولهم: إن التكليف خاص بالعوام ساقط عن الخواص»[٢].

وقال الميلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: «ويدافعون عن منكراتهم بأن شريبهم إنما يشرب عسلًا، أو أنه يطفئ من نور الولاية الشديد غلّته، وبأن زانيهم إنما زناه صورة خيالية يمتحن بها أهل المرأة ومبلغ عقيدتهم فيه، ويعبرون عن ذلك بقولهم: «الشيخ يفسد النية». فأما أن

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٤/ ٨٩).
(٢) الموافقات (٢/ ٢٤٩).وانظر الاعتصام (٢/ ٣٨) وقال الهيتمي نقلًا عن أبي شامة من شيوخ النووي: «إن من البدع السيئة الانتماء إلى جماعة يزعمون التصوف ويخالفون ما كان عليه مشايخ الطريق من الزهد والورع وسائر الكمالات المشهورة عنهم، بل كثير من أولئك إباحية لا يحرمون حرامًا لتلبيس الشيطان عليهم أحوالهم القبيحة الشنيعة؛ فهم باسم الفسق أو الكفر أحق منهم باسم التصوف أو الفقر »الفتح المبين (٩٥) وقال الميلي: فمن الشائع عن الطيب بن الحملاوي- وهو أخو عبد الرحمن نسبًا وأدبًا- أنه أمر صاحبة نزل بقسنطينة أن تهيئ له غداء في رمضان، فاستفهمته المرأة - وهي مسيحية- عن ذلك متعجبة؟! فأجابها قائلًا: نحن نُفُرْنُو الدين على الناس؟! وكلمة (نفرنو) فرنسية استعربت إلى العامية، يريدون منها معنى العطاء والتوزيع، والمقصود أن الدين ملك لهم، يكلفون به الناس ولا يتكلفون به.
ومن المعلوم عند الحنصالية- وهي شعبة من الشاذلية- أن شيخهم سوّغ لهم الملاهي وتمتيع النفس بما تشتهي»انظر رسالة الشرك ومظاهره(٤٣٧-٤٣٨).

الخمر تعود عسلًا، فمن البلادة الكثيفة، وأما أن الزنى صورة خيالية؛ فإنكار للحس، وترويج للدياثة»(١).

ب- ترك الجهاد في سبيل الله والاعتماد على الدعاء والتوكل فقط في مناهضة الجور والظلم(٢).

---

(١) انظر: رسالة الشرك ومظاهره (ص: ٤٣٥-٤٣٧).

(٢) موقف الصوفية من الجهاد ومقاومة الاستعمار، موقف متباين، يسوده التذبذب والاضطراب، وقد أدرك هذا التناقض المسيو أندري راسين فقال مستغربًا عند حديثه عن التجانية: «وأشهر من شهرها في السودان الحاج عمر، ومن الغريب أنها في الجزائر تنصح بالموالاة للفرنسيين، وفي السودان، ترفع راية الجهاد». انظر (التيجانية) (ص:٦١-٦٥). **وقد كانوا في ذلك على طوائف:**

الأولى: أعلنت الجهاد وقاومت الاستعمار، وأقضت مضاجع المستعمرين، ومنهم: أتباع الطريقة السنوسية الذين جاهدوا الاستعمار الإيطالي في ليبيا من أوضح الأمثلة على ذلك. ومنهم زعيم الطريقة التجانية في السودان الغربي والسنغال وهو الحاج عمر بن سعيد الفوتي السنغالي الأزهري (المتوفى سنة ١٢٨٣هـ)، قد قاوم الاستعمار الفرنسي مقاومة شديدة، وجاهد الوثنيين هناك، ونشر الإسلام بينهم.

ومنهم الشّيخ عبدُ العزيز بن الهاشمي شيخ القادرية في وادي سوف برَكْبِ الحركة الإصلاحيّة، وتبرّأ من بِدعٍ وخرافاتٍ وضلالاتِ الطّرقيّة، وحوّل زاويته إلى معهدٍ لتعليم الإسلام واللّغة العربيّة، فقلبت له فرنسا ظهر المجنّ، وأغلقت زاويتَه، ورمت به في غياهب السّجون.

الثانية: ويقابلهم في الناحية الأخرى كثير من المتصوفة الذين كان يعيشون في غير واقعهم، ولا يرون الانشغال بغير الذكر والزهد. ففي رسالة من المارشال بوجو أول حاكم فرنسي للجزائر إلى شيخ التجانية، ذات النفوذ الواسع، جاء فيها: «أنه لولا موقف الطريقة التجانية المتعاطف!! لكان استقرار الفرنسيين في البلاد المفتتحة حديثًا أصعب بكثير مما كان»(التجانية) (ص:٦١).

يقول الحاكم الفرنسي في الجزائر: «إن الحكومة الفرنسية تعظم زاوية من زوايا الطرق، أكثر من تعظيمها لثكنة جنودها وقوادها، وأن الذي يحارب الطرق إنما يحارب فرنسا!!». (الفكر والثقافة المعاصرة في شمال أفريقيا) (ص:٥١- ٥٢). وانظر (٦٣).

وبين هاتين الطائفتين، طائفتان أخريان:

الأولى منهما: حاربت المستعمر وقاومته ردحًا من الزمن، فلما طال أمد القتال، ولم تفلح في طرد المستعمر، استسلمت له في نهاية المطاف، وأبرمت المعاهدات المخزية معه، وصارت تشنع على من يحاول رفع راية الجهاد ضده من جديد.

والطائفة الثانية: وهي شر طوائف الصوفية جميعًا، وهي الطائفة التي وقفت معه تؤازره، وتناصره، وتقاتل في صفوفه، وتحت رايته، وتدعو الناس إلى الرضوخ له، وتحذر من مغبة مقاومته، ففي رسالة من المارشال بوجو أول حاكم فرنسي للجزائر إلى شيخ التجانية، ذات النفوذ الواسع،=

المطلب الأول: المراحل التي مر بها التصوف في المذهب المالكي

ليس هناك علاقة بين متقدمي ومتأخري الصوفية من المالكية إلا في الأسماء فقط؛ قال الميلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أما أدعياء التصوف؛ فليعلموا أن منهم صادقين وكاذبين، ولا يفيد كذبتهم الثناء على بررتهم، كما لا يقدح في فضلائهم الإنكار على سفهائهم، وأين هؤلاء الأدعياء من أصول الصوفية الأتقياء؟! قال سهل التستري: «أصولنا سبعة أشياء: التمسك بكتاب الله، والاقتداء بسنة رسول الله ﷺ، وأكل الحلال، وكف الأذى، واجتناب الآثام، والتوبة، وأداء الحقوق»[(١)].

=جاء فيها: «أنه لولا موقف الطريقة التجانية المتعاطف!! لكان استقرار الفرنسيين في البلاد المفتتحة حديثًا أصعب بكثير مما كان»(التجانية) (ص:٦١).

يقول الحاكم الفرنسي في الجزائر: «إن الحكومة الفرنسية تعظم زاوية من زوايا الطرق، أكثر من تعظيمها لثكنة جنودها وقوادها، وأن الذي يحارب الطرق إنما يحارب فرنسا!!». (الفكر والثقافة المعاصرة في شمال أفريقيا) (ص:٥١- ٥٢). وانظر (٦٣).

وحين تأسست جمعية العلماء المسلمين في الجزائر سنة (١٩٣١م)، وانطلقت تؤدي دورها التربوي، وتنشئ المدارس، وتنشر اللغة العربية، أقلقت السلطات الفرنسية، وكان سلاحها الماضي في القضاء على تلك الجمعية، رجال الطرق الصوفية. فقد تألب كل من أتباع الطريقة العليوية والطريقة الشاذلية والطريقة القادرية، وغيرها من الطرق الصوفية الأخرى ضد الجمعية، محاولين القضاء عليها وتنفير الناس منها، ووصل الأمر ببعضهم إلى القيام بمحاولة اغتيال مؤسسها المجاهد الشيخ عبد الحميد بن باديس رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ. (الفكر والثقافة المعاصرة في شمال أفريقيا) (ص: ٥٢) وانظر: انظر: المغرب والأندلس في عصر المرابطين(١٥٠)، انظر: التيجانية(٦٦-٦٩)،دائرة المعارف الإسلامية (٤/ ٥٩٤-٥٩٥).

وقد كانت كثير من الزوايا الصوفية تقوم مقام المراكز الاستخبارية للدول المستعمرة؛ وكان مريدوها من أمهر الجواسيس العاملين لحساب سياسة المستعمر. (أعلام المغرب العربي) (١/ ٣٠٦).

وهكذا كانت كثير من الطرق الصوفية تعمل مع أعداء الإسلام جنبًا إلى جنب، للقضاء على حركات الجهاد والمقاومة التي اندلعت ضدهم.

للتوسع أنظر كتاب: الإنحرافات العلمية والعقدية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين (١/ ٥٣٧ - ٥٤٦)، أعلام المغرب العربي (١/ ٣٠٦).

(١) نقله الشاطبي في الاعتصام (١/ ٦٨)، والعروسي في حاشيته على شرح الرسالة القشيرية (١/ ١١).

ومن خلال تتبع العلاقة بين الصوفية والمالكية فإن التصوف في المذهب المالكي مر كسائر المذاهب بعدة مراحل كما يأتي:

المرحلة الأولى: التصوّف العمليّ، ويراد به هنا (الزّهد): كان التصوف في البداية يرجع إلى الإنقطاع للعبادة والسعي في قضاء حوائج الناس والإصلاح بين المسلمين ثم ظهرت الزوايا والأربطة فكانت مكانا للاجتماع على الذكر وتلاوة القرآن وقراءة كتب أهل العلم.[(١)]؛ قال الميلي: «ودب في الأوساط الإسلامية مبدأ التصوف على قدمي الإفراط في العبادة والتفريط في الدنيا، واشتمل كسائر المبادئ على الصديق والزنديق، ولكن كان الغالب على رجاله العلم بالدين والصدق في العمل وموالاة السلف؛ فكانوا في الاعتقادات محدثين سلفيين، أو متكلمين أشعريين وماتريديين، وفي العبادات مالكيين[(٢)] أو حنفيين أو شافعيين أو حنبليين، واشتهر منهم أبو القاسم

---

(١) انظر المعيار(١١/ ٤٨-٥٠)وانظر:جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي(١٠٢-١٠٩)

(٢) **ومن هؤلاء:**

١- علي بن محمد بن سليمان يكنى أبا الحسن ويعرف بابن الخباب. كان رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ شيخ طلبة الأندلس: رواية وتحقيقًا ومشاركة في كثير من العلوم عارفًا بالقراءات والحديث متبحرًا في الأدب والتاريخ مشاركًا في علم التصوف.توفي سنة ٧٤٩هـ.

انظر: الديباج المذهب (٢/ ١١١)

٢- محمد بن يوسف بن سعادة كنيته أبو عبد الله. وأخذ الفقه وعلم الكلام عن أبي الحجاج بن زياد الميورقي، وكان مائلًا إلى التصوف وذكره ابن عباد ووصفه بالرسوخ في الفقه وأصوله.توفي في سنة ٥٦٥هـ.

انظر: الديباج المذهب (٢/ ٢٦٣)

٣- أبو زيد عبد الرّحمن بن محمّد الثّعالبي، تخرّج على يديه كثير من العلماء، من أشهرهم: محمّد بن يوسف السّنوسي، وأحمد الزّروق، توفي سنة ٨٧٥هـ

انظر: الضوء اللامع(٤/ ١٥٢)،معجم المؤلفين(٥/ ١٩٢).

٤- أحمد بن إبراهيم يكنى أبا جعفر ويعرف بابن صفوان، إمام في الفرائض مشارك في الفلسفة والتصوف، وألف كتبًا منها: مطلع هلال الأنوار الإلهية وشرح كتاب القرشي في الفرائض.

انظر: الديباج المذهب (١/ ١٩٣)

٥- عبد العزيز بن أبي القاسم الربعي التونسي المعروف بالدروال. الفقيه الأصولي الصوفي، توفي سنة ٧٣٣هـ...

الجنيد، فانتسب إليه مَن بعده في آداب السلوك، وبهذا كان التصوف مرضيًّا عند أهل السنة لانتساب رجاله إلى الأئمة المرضيين، وأعجبوا بتقى رجاله وزهدهم أيما إعجاب، ثم غمرت الثقة بالألقاب نقد ما في سير الصوفية من خطأ وصواب، فسال لعاب المبتدعين المنبوذين من هذه الثقة التي نعم بها المتصوفون، فاندسوا تحت هذا العنوان، ولا سيما الرافضة التي كانت لها مطامع سياسية، وكان التصوف والرفض كلاهما في العجم أشهر وأكثر انتشارًا، فسهل لذلك الامتزاج بينهما، فتكون تصوف باطني استقل بقيادة العامة أو كاد، واتقى بعموم الثقة في عنوان التصوف ألسنة النقاد»(١).

المرحلة الثانية: وبدأ فيها تبني أفكار الغزالي المبنية على مجاهدة النفس والزهد في كل شيء والميل إلى العلوم الباطنية ومن هؤلاء ابن العريف(٢) وابن برجان(٣) وابن

انظر: الديباج المذهب (٢/ ٢٤)

٦- عمر بن أبي اليمن اللخمي المالكي الشهير بتاج الدين الفاكهاني يكنى أبا حفص الإسكندري وكان فقيهًا متفننًا في الحديث والفقه والأصول، له التحفة المختارة في الرد على منكر الزيارة وكتاب الفجر المنير في الصلاة على البشير النذير، توفي سنة ٧٣٤هـ.

انظر: الديباج المذهب (٢/ ٨٢)

٧- محمد بن أحمد القرشي المقري، تكلم في طريق الصوفية، وألف كتابًا يشتمل على أزيد من مائة مسألة فقهية ودون في التصوف: إقامة المريد ورحلة المتبتل وكتاب الحقائق والرقائق. توفي سنة ٧٥٨هـ.

انظر: الديباج المذهب (٢/ ٢٦٥)

٨- محمد بن محمد أبو عبد الله العبدري المعروف بابن الحاج المغربي الفاسي وقد سبقت ترجمته.

(١) انظر رسالة الشرك ومظاهره (٤١٨)

(٢) الف كتاب محاسن المجالس تحدث فيه عن مقامات الصوفية وظهر في كلامه المنحى الباطني. انظركتاب النفائس ومحاسن المجالس -مجلة المورد-العدد الرابع -السنة ١٩٨١-(٦٨٧-٦٩١).

(٣) تحدث عن أرباب الأحوال وتميز بجنوح شديد الى الباطنية تجلى ذلك في ممارساته لحساب الجمل وتطبيقه على نصوص القرآن واعتمدها في التنبؤ بالاحداث. انظر: المغرب والأندلس في عصر المرابطين(١٣٣).

حرزهم وابن قسي [(١)] وابن عجيبة[(٢)].

وإبراهيم بن يوسف بن محمد بن دهاق الأوسي [(٣)] وابن الزيات[(٤)].

المرحلة الثالثة: وتبدأ من القرن الثامن وتستمر لما بعده حيث أصبح التصوف مذهبا واحدا في الأصول وإن اختلف أصحابه في الرسوم العملية كالمعاملات والمشاهدات والرياضات كالأوراد المبتدعة والزي الخاص لكل طريقة وقد انتشرت

---

(١) مما قاله: «اعلم ان التعيين وقبول ما ظهر من الحق بطريقة الرسالة وهو ما جاءت به الرسل من الإيمان والإسلام والأحكام وقبول ما غاب من الدار الآخرة وأحوال القيامة والجنة والنار وغيرهما فإذا صدق المالك وقبل المذكورات بالعلم يقال علم علم اليقين واما المرتبة الثانية وهي عين اليقين وهو الغناء عن الاستدلال والاستدراك والخبر وهو شهد الأشياء بالكشف وإدراك الحقائق في علم القدس فلا مدخل فيه للنقل والاستدلال وهو اعلى من المرتبة الأولى لأنه أسرارها وأبكار معانيها وانطبعت فيه معاني جميع البطون وحقائقها فهو سر الوجود وقبلة الواجد والموجوديعرف الأمور في مراتبها ويشاهد المعاني في مواطنها» مخطوط شرح خلع النعلين -دار الكتب القومية -٦٣٩ نقلا من المغرب والأندلس في عصر المرابطين(١٨٤).

(٢) قال ابن عجيبة: «واعلم أن المستمعين وإن اشتركوا في مجرد سماع الألفاظ فقد تباينوا في سماع معانيها فرب كلمة موضوعة لمعنى القرب قد فهم منها البعد» وقال أيضا: «فلا يزال المريد يذكره بلسانه ويهتز به حتى يمتزج بلحمه ودمه وتسري أنواره في كلياته وجزئياته فيتحد الذاكر والمذكور فينتقل الذكر إلى القلب ثم إلى الروح ثم إلى السر فحينئذ يخرس اللسان ويحصل على محل الشهود والعيان فيصير ذكر اللسان ذنبا من الذنوب عند مشاهدة علام الغيوب» انظر منية الفقير لعبد القادر الكوهن(٤٢،٢٣-٤٣).

(٣) يكنى أبا إسحاق ويعرف بابن المرأة كان متقدمًا في علم الكلام ذاكرًا لكلام أهل التصوف يطرز مجالسه بأخبارهم.

قال أبو جعفر بن الزبير: وكان صاحب حيل وفوارج مستظرفة مطلعًا على أشياء غريبة - من الخواص وغيرها - فتن بها بعض الجهلة وشرح محاسن المجالس لأبي العباس بن العريف وألف غير ذلك، وتوفي بعد سنة ٦١٠هـ.

انظر: الديباج المذهب (١/ ٢٧٤)

(٤) أحمد بن الحسين بن علي الزيات الكلاعي الخطيب تحمل العلم عن جملة منهم: أبو الحسن: فضل بن فضيلة المعافري: أخذ عنه طريق الصوفية.

وتصانيفه كثيرة منها:العقيدة المسماة بالمشرب الأصفى في المأرب الأوفى واللطائف الروحانية والعوارف الربانية وتوفي ٧٢٨هـ.

انظر: الديباج المذهب (١/ ١٩٦)

هذه الطرق بهذه الخصائص والبدع إبتداءً من القرن السابع وما بعده، حيث بدأ يظهر ما يُسمّى بالطّرق الصوفيّة(١)، الّذي قام على مبدأ تحزيب الأتباع، وإعطاءِهم العهودَ والمواثيقَ للشّيوخ، حتى يلتزموا بطاعة الله وطاعة الشّيخ وأصبح من شروط السالك في أي طريقة صوفية التزام البيعة لشيخ الطريقة(٢).

(١) الطريقة في اللغة تطلق على السيرة والمذهب والحال أما عند الصوفية فهي: «السيرة المختصة بالسالكين الى الله تعالى من قطع المنازل والترقي في المقامات» إلا أن هذا المعنى للطريقة اختلف عبر القرون حتى أصبحت الطريقة بعد القرن السادس لازمة للمريد والسالك وعمم هذا الفكر على عامّة النّاس حتى شجّعَ كثيرا من الدّجاجلة ومُدّعِي الزّهد والعبادة على الانتساب للتصوّف، فأصبحوا يؤسّسون لأنفسهم أو لشيوخ معروفين بالزهد قد ماتوا طرقا صوفيّة يكتسبون بها الأتباع والأرزاق؛ لأنّ أمر الطّرق لم يعُدْ قاصرًا على اتّباعِ منهج معيّن في الذّكر مع معاهدة الشّيخ على لزوم الاستقامة؛ بل ترقّى إلى تقديم القرابين، وخدمة الشّيخ وأولاده مقابلَ إعطائِه الضّمانَ للمريدِ.
وتعدّى الأمر إلى الدّعاية إلى عبادة القبور من أجل كسب الأرزاق وجمع الزّكوات. وكثيرٌ من هؤلاء الدّجاجلة قد عادوا في تصوّفهم إلى التصوّف الفلسفي الأصيل المبنيّ على إنكار الشّريعة، ودعوى الحلول والاتّحاد. انظر: لسان العرب (١٠/ ٢٢١)، التعريفات (١٤١) الطرق الصوفية (٩-١١) رسالة الشرك ومظاهره.

(٢) وقد رتّب من أسّس هذه الأحزاب ترتيبًا ما أنزل الله به من سلطان؛ فمن حضر وهو يريد الدّخولَ إلى طريقة الشّيخ يسمّى تلميذا، فإذا دخل وكان في أوّل الطّريق يسمّى مريدا، فإذا طال به العهد واختاره الله لحبّه صار فقيرا، فإن تقدّم به الحال إلى ما يسمّى بالمكاشفات فهو السّالك، وإن وصل إلى مرحلة الفناء وفقدان الوعي والانجذاب إلى الله تعالى فهو المجذوب.
وجعل كلّ شيخ يزعم أنّ له طريقا موصِلًا إلى الله تعالى لأتباعه أورادا وأذكارا يلتزمونها، ويتميّزون بها عن أهل الطّريقة الأخرى، وربّما جعل بعضَهم لأتباعه هيئةً معيّنةً في اللّباس، والعِمامة، والسُّبحة، ونحو ذلك.
قال بن خلدون: «إن طريق المتصوفة منحصر في طريقين، الأولى: طريقة السنة، طريقة سلفهم الجارية على الكتاب والسنة، والاقتداء بالسلف الصالح من الصحابة والتابعين، والطريقة الثانية: وهي مشوبة بالبدع، وهي طريقة قوم من المتأخرين يجعلون الطريقة الأولى وسيلة إلى كشف حجاب الحس لأنها من نتائجها، ومن هؤلاء المتصوفة ابن عربي وابن سبعين، وابن برجان وأتباعهم ممن سلك سبيلهم، ودان بنحلتهم، ولهم تواليف كثيرة يتداولونها مشحونة بصريح الكفر ومستهجن البدع، وتأويل الظاهر لذلك على أبعد الوجوه، وأقبحها مما يستغرب الناظر فيها من نسبتها إلى الملة، أو عدها في الشريعة، وليس ثناء أحد على هؤلاء حجة، ولو بلغ المثنى ما عسى أن يبلغ من الفضل؛ لأن الكتاب والسنة أبلغ فضلا، أو شهادة من كل أحد، وأما حكم=

والطرق الصوفية كثيرة جدا يصعب حصرها أو يستحيل[(١)] ومن هذه الطرق:

١- الطّريقة القادريّة[(٢)].

=هذه الكتب المتضمنة لتلك العقائد المضلة، وما يوجد من نسخها بأيدي الناس مثل الفصوص والفتوحات المكية لابن عربي والبد لابن سبعين وخلع النعلين لابن قسي وعين اليقين لابن برجان، وما أجدر الكثير من شعر ابن الفارض والعفيف التلمساني، وأمثالهما أن يلحق بهذه الكتب، وكذا شرح ابن الفرغاني للقصيدة الثانية من نظم ابن الفارض فالحكم في هذه الكتب وأمثالها إذهاب أعيانها متى وجدت بالتحريق بالنار، والغسل بالماء حتى ينمحي أثر الكتاب؛ لما في ذلك من المصلحة العامة في الدين بمحو العقائد المختلفة، فيتعين على ولي الأمر إحراق هذه الكتب دفعا للمفسدة العامة، ويتعين على من كانت عنده التمكين منها للإحراق.

انظر: رسالة الشرك للميلي، تاريخ التصوف في الإسلام (٦٤٩-٦٥٠)، الطرق الصوفية في مصر (٦٠)، بلاد شنقيط المنارة والرباط (١٢٠)، الطرق الصوفية نشاتها وآثارها (١١-١٤)، (٨١-٨٣) مصرع التصوف (١٦٥-١٧٠).

(١) وصل عدد الزوايا بالمغرب فقط حسب إحصاء قام به الفرنسيون إبان الحماية ١٩٣٠م ما قدره مليونان واثنان ولعلهم أدرجوا الأضرحة والقباب التي ليست بزوايا، وقد انتسب بعض علماء المالكية المتأخرين الى هذه الطرق ومنهم الشيخ أحمد الصاوي والدردير المالكي كما جاء في مقدمة الخريدة البهية وفيه التعريف بهما ومنه قوله: أئمة مشايخ الطريقة الخلوتية الجامعة الرحمانية انظر: معلمة التصوف الإسلامي (٣/ ٢٠٦)، الكشف عن حقيقة التصوف (٣٧٤)، الموسوعة الصوفية (٣٦٤-٣٦٩)، الطرق الصوفية (٨٣)، الخريدة البهية.

(٢) تُنسَب هذه الطّريق إلى الشّيخ عبد القادر الجيلاني (ت:٥٦١ هـ): الفقيه البغدادي، صاحب «الغُنية» وغيرِها، وقد كان لهذه الطّريقة الّتي ظهرت في المشرِقِ عدّة فروع تتّصل بالزّاوية الأمّ ببغداد. ويبلغ عدد مريديها حول العالم الى نهاية القرن التاسع عشر قرابة الستين الف مريد.

ولهذه الطّريقة وِرْدٌ تتميّز به، وهو في أصله مشروع، لكنْ اعترتْها البدعيّة من ناحية التّخصيص بالأوقات والتّحديد بالأعداد، كقول «لا إله إلاّ الله» ٥٠٠ مرّة في اليوم، والصّلاة على النبيّ ﷺ ١٢١ مرّة في اليوم، والاستغفار بعد الصّلاة ١٠٠ مرّة، مع أنّ المأثورَ عن النبيّ ﷺ هو الاستغفار ثلاثًا.

كما ن أتباع هذه الطريقة خالفوا طريقة السلف وخالفوا امامهم في كثير من العقائد حتى وصلوا إلى الشرك في الربوبية والألوهية ونسبوا لشيخهم كثيرا من القصائد الشركية. وللقادرية فروع في اليمن والصومال ومصر والهند والمغرب والجزائر وتونس والسودان الغربي ومن فروع القادريّة العمارية والبوعلية والبكائية واليافعية والنابلسية والرومية والعروسية.

انظر: الشيخ عبد القادر الجيلاني واراؤه الاعتقادية والصوفية (٦٤٤-٦٥٥)، الفلسفة الصوفية (٢٨٣)، الموسوعة الصوفية (٢٦٩)، معلمة التصوف الإسلامي (٣/ ٢٠٥-٢٢١)، (٣/ ١٤٩-١٦٧)، الطرق الصوفية نشأتها وآثارها (٨٤-٨٦).

٢- الطّريقة الرّحمانيّة(١).

٣- الطّريقة التّيجانية(٢).

٤- السّنوسية الطكّوكية(٣).

(١) مؤسِّس هذه الطّريقة هو محمّد بن عبد الرّحمن الأزهري (ت:١٢٠٨ هـ). كان قد جلب الطّريقة الخلوتية من المشرق وطوّرها فنُسِبَتْ إليه، وذلك في سنة (١١٨٨ هـ)، وكان لهذه الطّريقة ٢٢٠ زاويةً ولذلك كانت تُعتَبَرُ من أوسع الطّرق انتشارًا في الجزائر أثناء الحقبة الاستعماريّة، وقد تراجع ذلك النفوذ كثيرا بفضل الدّعوة الإصلاحيّة الّتي نشرتها جمعيّةُ العلماءِ المسلمين.
انظر: رسالة الشرك ومظاهره(١/ ٣٦٢) معلمة التصوف الإسلامي(٣/ ٢٠٥-٢٢١)

(٢) تنتسب إلى مؤسِّسها: أحمد بن محمّد التّجاني (ت:١٢٣٠ هـ)، ارتحل إلى فاس، وتلمسان، وتونس، والقاهرة، ومكّة، والمدينة، وبغداد، وأخذ الطّريقة القادريّة والطيبية والرحمانية والناصرية والمدنيّة والخلوتية.
وهي تنتشر في شمال إفريقيا وغربها ومن عقائدهم الشرك الأكبر في شيوخهم ومنه الحج الى قبورهم واعتقاد استمرار النبوة فيهم والقول بأن صلاة الفاتح من كلام الله تعالى، وقراءتُها خيرٌ من قراءة القرآن! وأنّ من داوم على قراءتها دخل الجنّة بغير حساب! ولأجل هذا أفتى الشّيخ ابنُ باديس رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بكفر من انتمى إليها، بناءً على هذه العقائد الباطلة. وقد ألف العلامة الشيخ محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي في كتابه «معضلات العصر» و هو مقال في الرد على التيجانيين و قد طبعه علامة الجزائر ابن باديس و سماه «الجواب الصريح في بيان مضادة الطريقة التيجانية للاسلام الصحيح».
كما ان الشيخ العلامة تقي الدين الهلالي له كتاب «الهدية الهادية للطائفة التيجانية» و كان رَحِمَهُ اللَّهُ مشهورا بمعادات المتصوفة معروفا بانحرافه عنهم.
وألف الشيخ العلامة محمد بن العربي العلوي المتوفى سنة ١٣٨٤هـ في «فتوى لعلماء القرويين بادانة صلاة الفاتح لمحمد الفاطمي التيجاني».
وكذلك العلامة الشيخ محمد الجزولي سنة ١٣٩٣هـ في رسالته «لاطرق في الإسلام» كتبها لشيخ الطائفة التيجانية بالرباط.
انظر: التيجانية (٦٠-٦٩)،دائرة المعارف الإسلامية(٤/ ٥٩٤-٥٩٥)، الطرق الصوفية نشاتها وعقائدها(٩٦-٩٧).

(٣) الطّريقة السّنوسية تُنسَب إلى محمّد بن عليّ السّنوسي المستغانمي (ت:١٨٥٩ م) الّذي أخذ مجموعةً من الطّرق في الجزائر، والمغرب، ومنها الشّاذلية، ثمّ استقرّ في ليبيا، وأسّس عام ١٨٤٣ م هذه الطّريقةَ الّتي تُنسَب إليه، وشرع في الدّعوة إليها من هناك.
أسّس في حياته ٢٢ زاويةً، وهي طريقةٌ صوفيّة لا تختلف عن بقيّة الطّرق بأذكارها المبتدَعة، وقد اعتمد صاحبها على رواية الحديث النّبويّ، وكان لأتباعِها مواقف تُجاه الاستعمار الأوروبيّ،=

٥- الشّاذلية[١].

٦- الطريقة الرفاعية.[٢]

المطلب الثاني: أهم أسباب دخول التصوف في المذهب المالكي

دخل التصوف في المذهب المالكي بسبب عدة عوامل وقد أدت هذه العوامل إلى تطور التصوف في المذهب المالكي حتى أصبح سلوكا ومنهجا ينص عليه في كتب المتأخرين **منهم ومن هذه العوامل:**

العامل الأول: الجهل؛ غلب على الصوفية الاجتهاد في العبادة مع قلة العلم الشرعي[٣] وهو أمر أنكره عليهم المتقدمون من علماء المالكية أنفسهم؛ جاء في تاريخ الإسلام للذهبي[٤] أن محمد بن محمد الفاشاني من أهل القرن الخامس؛ قال: «كنت إذا مضيت إلى أبي القاسم هبة الله بالرباط، أخرجني إلى الصحراء، وقال: اقرأ هنا؛

=لكن ذلك لا يُخرجها عن حقيقتِها الصّوفية في السّلوك والاعتقاد.

انظر: معلمة التصوف الإسلامي (٣/ ٢٠٥-٢٢١)، (٣/ ١٤٩-١٦٧).

(١) تنسب هذه الطّريقة إلى أبي الحسن الشّاذلي، له عدة احزاب منها حزب البر وهو الشهير بالحزب الكبير زعم فيه ان حزبه: «ما كتب من حرف إلا بإذن من الله ورسوله» وذهب بعض الباحثين إلى أن هذه الطريقة أكثر الطرق الصوفية انتشارا وأكثر أتباعا ولهذه الطّريق أكثر من عشرين فرعًا مُنشقًّا عنها، ومنها الزّروقية، واليوسفيّة، والعيساويّة، والكرزازيّة، والشيخيّة، والنّاصريّة، والطيبيّة، والزيانيّة، والوزانية والشيخية والحنصاليّة، والحبيبيّة، والمدنيّة، والدّرقاويّة والشابية.

انظر: الطريقة الشاذلية وأعلامها، الطرق الصوفية في مصر (١٣٨)، الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها (٨٦-٨٨)

(٢) تنتسب الى أحمد الرفاعي المغربي توفي سنة ٥٧٨هـ في العراق وتسمى البطائحية والشرك الأكبر منتشر عند أتباع هذه الطائفة رد عليهم شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مناظرته معهم، من فروعها: البازية والملكية والحبيبية.

انظر: الطرق الصوفية في مصر (٦٨-٦٩)، دائرة المعارف البريطانية (١٠/ ١٤٨)، الموسوعة الصوفية (١٧٨-١٨٠)، الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها (٨٩-٩٠).

(٣) انظر: المعيار (١١/ ٣٠-٣٤)، المغرب والأندلس في عصر المرابطين (١٣٨) وتشير كتب التراجم الى ان معظم الصوفية في بداية الامر كانوا من الحرفيين والمزارعين والرعاة والمدرسين البسطاء والمغنين في الاعراس وقطاع الطرق فمعظم الأولياء يرجعون الى أصول فقيرة. انظر (١٣٤) من المرجع السابق.

(٤) (٣٣/ ١٦٧).

الدف والألحان، التي هي رنة الشيطان، وجعلوا العبادة رقصا وطربا، واتخذوا دين الله لهوا ولعبا، وحققوا لمشايخهم الأسرار بملازمتهم للعود والدف والمزمار، وحكموا على من قام عليهم لله بالإنكار، بأنه من جملة الكفار ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ [إبراهيم:٢٨-٣٠].

هذه أشعار الصوفية الأماثل، ونسبوا أنفسهم إلى أولئك الزهاد الأفاضل ، وقد جعلوا ذلك الشعار حبايل إلى أكل أموال الناس بالباطل، والكل منهم محتال عليها وخاتل، أيحسبون أن الله تعالى عن صنيعهم غافل، أو ليس بمحاسب لهم ومسائل؟ ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف:٨٠] ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ [إبراهيم: من الآية ٤٢] وحكموا لأنفسهم، وقضوا بأنهم وردوا عين الشريعة فارتووا، وزعموا أنهم شربوا من سلسالها سلسبيلا، ولا يصدعون فيها ويصدون عنها سبيلا، وادعوا أنهم أهل الشوق والذوق، وأصحاب الطريقة والحقيقة، صدقوا هم أهل الشوق ولكن إلى الطريقة السامرية، الزائغة المنهاج، وهم أهل الذوق في الحقيقة، ولكن من ملحها الأجاج»[1].

العامل الثاني: العامل السياسي وأعني بذلك تبني بعض الدول للتصوف ولعلمائه ومحاربة المنكرين عليه حتى عم سائر المناطق وأثر في أبنائها؛ «فإذا تأمّلْتَ أيّها الواقف في استمرار الدّولتين المخزيتين العُبيديّة والموحِّدية قرونًا كثيرةً - كما تقدّم - زال عنك التعجّب، وظهر لك سببُ الضّلال، وسببُ شغف النّاس بالأولياء الأموات، والأقطاب، والأغواث، والأبدال، والمجاذيب[2]، وسائر المتصرّفين في الغيب على اعتقادهم الغيب والباطن، وأنّ جميع ما يقع في الكون بتصرّفهم وقضائهم»[3].

(١) العقد الثمين في شرح أحاديث أصول الدين (ص: ١٢٠-١٢١).

(٢) (الجذب) (في اصطلاح الصوفية) حال من أحوال النفس يغيب فيها القلب عن علم ما يجري من أحوال الخلق ويتصل فيها بالعالم العلوي و (المجذوب) (في اصطلاح الصوفية) من جذبه الحق إلى حضرته وأولاه ما شاء من المواهب بلا كلفة ولا مجاهدة ورياضة. انظر: المعجم الوسيط(١/ ١١٢).

(٣) «الإسلام الصّحيح» للزواوي (١٦١).

قال الميلي: «وكان من مظاهر اتحاد الرافضة الباطنية بالصوفية ظهور مذهب الحلول والقول بالاتحاد؛ فقد كان ذلك معروفًا أولا في الباطنية، ثم ظهر على متأخري الصوفية؛ كابن عربي الحاتمي، وابن سبعين، وابن العفيف التلمساني، وابن الفارض، وغيرهم.

وقال هؤلاء المتأخرون بالقطب، ومعناه: رأس العارفين، ويزعمون أنه لا يساويه أحد في مقامه حتى يموت فيخلفه آخر، وذلك هو معنى الإمام المعصوم عند الرافضة»(١).

ويؤكّد الشّيخ الميليّ رَحِمَهُ اللَّهُ على دورِ الدّولة الموحّدية في نشر بدعةِ التّصوف فيقول: «فلم يكن يومئذٍ بالمغرب شأنٌ للصّوفية إلى أن جاءت الدّولة المؤمنية، ونشرت المعارفَ ونصرت الفلسفة، فظهر من الصّوفية رجالٌ ذوو علم طار صِيتُهم في الآفاق»(٢).

العامل الثالث: الأحداث والكوارث -التي مرت بها بلاد المسلمين وعلمائها- وضعف التعلق بالله تعالى؛ ومن هنا فإن التصوف يترسخ ويشتد عوده إبان الازمات حين يدب الضعف والوهن في كيان الدولة وتستشري الفتن وتحدث المجاعات والأوبئة والكوارث فيصبح اللجوء للأولياء بديلا لضعف التعلق بالله تعالى.(٣)

العامل الرابع: انتشار المنكرات والفسق بين الناس(٤) فظن الجهلة من الناس أن التصوف متوجه للسلوك خاصة ففرحوا به في وقت فسدت فيه أديان الناس ودنياهم، حيث ظنوا أن في التصوف صلاحا لظواهر الناس وبواطنهم وكفا لانتشار المنكرات بينهم(٥).

(١) رسالة الشرك ومظاهره (٤٢١) وانظر: (٤٢٣)، تاريخ ابن خلدون(١/ ٦١٩)، «تاريخ الجزائر» (٢/ ٣٤٣)، الإسلام الصحيح(١٥٦).

(٢) تاريخ الجزائر في القديم والحديث(٢/ ٢٤٧)

(٣) انظر المغرب والأندلس في عصر المرابطين لإبراهيم بوتشيش(١٢٥-١٢٦).

(٤) قال ابن عبدون: «إن الناس قد فسدت أديانهم وإنما الدنيا الفانية والزمان على آخره وخلاف هذه الأشياء هو ابتداء الهرج وداعية الفساد وانقضاء العالم ولا يصلح هذه الأمور إلا نبي بإذن الله «رسالة في الحسبة (٦٠)، وقال المتيجي ان ذلك العصر «فيه الخير قليل والشر فيه كثير والدين فيه غريب والجهل فيه غالب»مخطوط رسالة في تحقيق اتجاه القبلة (ورقة ٧٩)وانظر: آراء أبي بكر بن العربي الكلامية(٨٧)،كتاب التبيان لابن بلكين(١٤٢).

(٥) انظر: المغرب والأندلس في عصر المرابطين(١٢٨-١٢٩).

العامل الخامس: أسهمت الرحلات التجارية والرحلات العلمية والحج في انتشار المصنفات الصوفية المشرقية، وبواسطة الإجازات[١] تصدر بعض العلماء لتدريسها بعد أن أخذوها على يد مؤلفيها.

المطلب الثالث: أثر التصوف على المتاخرين من علماء المالكية

ظهر أثر التصوف على أعلام المالكية المتأخرين في جملة من الأمور كما يأتي:

أولا: الانتساب إلى التصوف في مراحله المختلفة، كما سيأتي تفصيل ذلك. **ومن هؤلاء:**

أ- دلف بن جحدر أبو بكر الشبلي[٢].

ب- أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله الجذامي الاسكندري[٣].

ج- أبو الحسن الشّاذلي[٤].

---

(١) من هؤلاء صالح بن حرزهم الذي أخذ عن الغزالي ثم رجع إلى فاس فنشر بها طريقته. انظر:جذوة الاقتباس لابن القاضي(١/ ٣٥٨)ومنهم ابو مدين شعيب الذي لقي عبد القادر الجيلاني وألبسه خرقة التصوف،انظر:مخطوط النجم الثاقب(ورقة ١٨٢)،ومنهم عبد الجليل بن ويحلان الذي التقى أبا الفضل الجوهر المصري واتخذ الطريقة على حقيقتها من المشرق،انظر:مخطوط المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى (ورقة ٢٣ب)،المغرب والأندلس في عصر المرابطين(١٢٩-١٣٠)،التصوف الإسلامي في المغرب للفاسي(٣٩-٤٠).

(٢) صوفي اختلف في اسمه فقيل: دلف بن جحدر ويقال: اسمه جعفر بن يونس هو الشبلي شيخ الصوفية وإمام أهل علم الباطن كان عالمًا فقيهًا على مذهب مالك وكتب الحديث الكثير وصحب الجنيد ومن في عصره من المشايخ .

سئل عن معنى قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] فقال: الرحمن لم يزل والعرش محدث والعرش بالرحمن استوى. توفي سنة ٣٣٤هـ.

انظر: الديباج المذهب (١/ ٣٦٠-٣٦٤)، الطبقات الكبرى للشعراني(١/ ٩٠) .

(٣) الإمام المتكلم الشاذلي. وله تآليف منها التنوير في إسقاط التدبير والحكم.

كان متكلمًا على طريقة أهل التصوف وكان شاذلي الطريقة،توفي بالقاهرة سنة ٧٠٩هـ.

انظر: الديباج المذهب (١/ ٢٤٣)، الفواكه الدواني (١/ ٤٤).

(٤) هو عليّ بن عبد الله المغربيّ. أخذ التصوّف عن ابن مشيش في المغرب، ثمّ انتقل إلى الإسكندريّة بمصر حيث نشر مذهبَه وإليه تنسب الطريقة الشّاذلية.وصار له أتباعٌ عُرِفوا بالدّراويش وبالفقراء، وله أحزابٌ تتلى منها: حزب البحر،،وسماه الصاوي القطب الكبير.. توفي سنة ٦٥٥ هـ.

انظر: حاشية الصاوي على الشرح الصغير (٤/ ٧٣٢).

- وهذه الحكاية لم يذكرها أحد من أصحاب مالك المعروفين بالأخذ عنه، ومحمد بن حميد ضعيف عند أهل الحديث إذا أسند، فكيف إذا أرسل حكاية لا تعرف إلا من جهته! هذا إن ثبتت عنه، وأصحاب مالك متفقون على أنه بمثل هذا النقل لا يثبت عن مالك قول له في مسألة في الفقه، بل إذا روى عنه الشاميون كالوليد بن مسلم ومروان بن محمد الطاطري ضعفوا رواية هؤلاء، وإنما يعتمدون على رواية المدنيين والمصريين، فكيف بحكاية تناقض مذهبه المعروف عنه من وجوه رواها واحد من الخرسانيين لم يدركه وهو ضعيف عند أهل الحديث!»[(١)].

- «ولو ثبتت القصة فإن معناها: أنك إذا استقبلته وصليت وسلمت عليه وسألت الله له الوسيلة يشفع فيك يوم القيامة فإن الأمم يوم القيامة يتوسلون بشفاعته، واستشفاع العبد به في الدنيا إنما هو فعل ما هو سبب لحصول شفاعته له يوم القيامة، كاتباعه فيما جاء به وسؤال الله له الوسيلة والصلاة والسلام عليه ونحو ذلك مما أمر النبي ﷺ بفعله لا فعل ما ليس من شرعه مما نهى هو وأصحابه عنه»[(٢)]

المطلب الخامس: الغلو في الأولياء عند متأخري المالكية

أولا: مظاهر غلو الصوفية في الأولياء، وهي كثيرة ومتعددة منها:

الأول: انتصابهم للتوسط بين الله وعباده في قبول التوبة.

الثاني: أخذهم عليهم البيعة والعهد والميثاق بالطاعة لهم ولزوم الطريقة وخدمة الزاوية.

الثالث: أنهم يفرضون مشيختهم على غيرهم بقولهم: من لم يكن له شيخ، فالشيطان شيخه!! يريدون شيخ الطريقة الذي يزار بالكراع والدينار، ويتشددون في

---

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (١/ ١٣١-١٣٤) وانظر: صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان (ص: ١٣٢-١٣٣)، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد (ص: ٣٠٢)، تاسيس التقديس(١٤١)، مصباح الظلام(٣/ ١٥٩)، صيانة الانسان للسهسواني(١٣١)، (٢٦٨)، غاية الأماني للألوسي (١/ ٣٧٥)، كشف شبهات الصوفية(٩٥)، رسالة الشرك ومظاهره (٣٠٩)، المواهب اللدنية(٣/ ٥٩٥)، مجلة البحوث الإسلامية (العدد٧٤/ ٢٠٧).

(٢) التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق لسليمان بن عبد الله آل الشيخ(٢٤٣)

التزام ميثاقهم، ويبالغون في الإنكار على من فارق طريقة إلى أخرى، ولكن شيخ الطريقة الأخرى يقبل المنتقل إليه بسرور، وقد ذكر الميلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتابًا للتيجانية يحكم مؤلفه بردّة من فارق طريقتهم، وسمى كتابه: «تنبيه الناس على شقاوة ناقضي بيعة أبي العباس»[(١)].

وسوف أعرض هنا لجملة من النقول عن علماء المالكية في التنبيه على ذلك والحث عليه:

١- قال ابن عجيبة: «والناس ثلاثة أقسام قوم قنعوا بمقام الإيمان ولم ترفع همتهم إلى طلب العيان وهؤلاء لا سير لهم فهم عوام المسلمين، وقوم تعلقت هممهم بالوصول واستعملوا شيئا من عبادة الظاهر لكن لم يظفروا بشيخ التربية أو لم يقدروا على صحبته ولم تسمح نفوسهم بالتجريد وخرق العوائد وهؤلاء صالحون أبرار وهم أيضا من عامة أهل اليمين... وقوم ارتفعت هممهم إلى الوصول وظفروا بشيخ التربية وقواهم الله تعالى على صحبته وخدمته وتجردوا من عوائدهم فأشرقت بدايتهم بالمجاهدة والمكابدة وأشرقت نهايتهم بدوام المشاهدة فهؤلاء من خاصة الخاصة وهم المقربون السابقون»[(٢)].

٢- قال الشيخ حسين المغربي في فتاواه قال: «قال أستاذنا وولي نعمتنا سيدي علي وفا -رضي الله تعالى عنه وعنا به- ومن هنا لم يغتفر الأشياخ لتلاميذهم ربط قلبهم بغيرهم لسد باب النفع بهم واغتفروا ما دون ذلك وسعوا في إصلاحه فقد ورد تخلقوا بأخلاق الله وهو معنى الخلافة وفي اليواقيت ما نصه: «وقال أي ابن عربي في الباب الاحد والثمانين ومائه إنما كان المريد لا يفلح قط بين شيخين قياسا على عدم وجود العالم بين إلهين، وعلى عدم وجود مكلف بين رسولين، وعلى عدم وجود امرأة بين شيخين»[(٣)].

٣- قال أبو الحسن اليوسي: «فان ظفر المريد بشيخ يربيه فهو تابع له على طريقته،

---

(١) انظر: رسالة الشرك ومظاهره (٤٣١-٤٣٢).

(٢) منية الفقير المتجرد(٥١-٥٢).

(٣) قرة العين بفتاوى علماء الحرمين(٣٥٢).

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ....**أما بعد**

فأحمد الله تعالى أن يسر لي إتمام هذا البحث، وأسأله سبحانه أن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وحيث جرت العادة في البحوث العلمية الإشارة في آخرها إلى أهم نتائج البحث والتوصيات؛ فأود أن أذكر هنا بعض النتائج التي خرجت بها من خلال البحث في أقوال علماء المالكية المتقدمين والمتأخرين، **ومن أهمها ما يأتي:**

١. نقل جمع من علماء المالكية المتقدمين والمتأخرين الإجماع على أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل.

٢. لا يمكن الجزم بانقطاع قول أهل السنة في مسمى الإيمان عند المتأخرين من علماء المالكية حيث استمر القول بدخول العمل في مسمى الإيمان إلى عصرنا الحاضر.

٣. كان الغالب في علماء المالكية الإنكار على أهل الكلام والبدع ومقاومتهم إما بالمناظرة، أو التأليف، أو بواسطة السلطان آنذاك.

٤. اهتم علماء المالكية كثيرا في بيان أحكام الكفر والردة، وفصلوا فيها تفصيلا شافيا سواء في كتب الفقه، أو شروح الأحاديث أو المؤلفات المستقلة.

٥. اتفق علماء المالكية على أن الكفر قد يكون غير مخرج عن الملة، لكنهم اختلفوا بعد ذلك في وجه تسمية بعض الذنوب كفرا.

٦. عبارات المالكية في بيان المقصود بالإيمان بالله تعالى تتفق في مجملها على أهمية إفراد الله تعالى في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته وإن اختلفت عباراتها.

٧. توحيد الألوهية هو إفراد الله تعالى بالعبادة هو أهم أنواع التوحيد، وعليه نص علماء المالكية المتقدمون وجملة من المتأخرين.

٨. وافق المتقدمون من علماء المالكية وجملة من المتأخرين منهم السلف في إثبات صفات الله تعالى التي دلت عليها نصوص الكتاب والسنة.

٩. لعلماء المالكية قواعد في الأسماء والصفات، وهي موافقة في الجملة لمذهب السلف لكن قد يخالف بعض المالكية مذهب أهل السنة والجماعة في بعض أفراده.

١٠. لا يمكن إغفال أو تجاهل جهود علماء المالكية المتقدمين والمتأخرين في توحيد الأسماء والصفات سواء كانت بالتأليف أو المناظرة أو الرد أو الصبر على الأذى فيها.

١١. منع الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ التحديث ببعض الأحاديث الواردة في الصفات الخبرية كان سدا للذرائع وحماية لجناب التوحيد وهذا كله موافق لمنهج الإمام وطريقته.

١٢. الإيمان بالملائكة والكتب والرسل عند علماء المالكية أصل من أصول الإيمان الواجبة وقد اتفقت جميع الرسل في الدعوة إلى ذلك.

١٣. الإيمان باليوم الآخر والقدر عند أهل السنة من المالكية وغيرهم أصل من أصول الإيمان الواجبة وهو من أمهات أصول العقائد الواردة في القرآن الكريم.

١٤. اشترك علماء المالكية المتقدمون والمتأخرون في الرد على المخالفين في القدر.

١٥. سكت السلف من المالكية وغيرهم عن الكلام في القدر وهم كانوا أعمق الناس علما وأوسعهم فهما.

١٦. الشرك الوارد في النصوص قد يكون شركا أكبرا مخرجا عن الملة، وقد يكون شركا أصغرا. وقد نبه علماء المالكية إلى هذه الأنواع في كثير من المواضع تصريحا أو تلميحا.

١٧. الغالب في اسم الشرك في القرآن الكريم انصرافه إلى الشرك في العبادة، والألوهية.

١٨. نص علماء المالكية في كتبهم على الفرق بين الحكم المعين والمطلق في الأحكام الشرعية.

١٩. حذر المالكية كثيرا من تكفير المعين قبل التحقق من ذلك بتوفر الشروط وانتفاء الموانع.

٢٠. ترجع ضوابط التكفير في مجملها إلى قيام الحجة وعدم القصد.

٢١. أجمل المالكية كلامهم في نواقض الإيمان بأسماء الله، وصفاته، ولم يفصلوا فيها إلا إذا كان لذلك سبب.

٢٢. إنكار صفتي العلم والكلام احتلت قدرا كبيرا من كلام علماء المالكية في نواقض الإيمان بأسماء الله، وصفاته ردا على من خالف فيها.

٢٣. نقل أئمة المالكية الإجماع على كفر من نفى عن الله تعالى الوصف بصفاته، وأعراه عنها.

٢٤. القدرية عند الإمام مالك هم نفاة العلم، أو من قامت عليه الحجة، وأصر على التكذيب بالنصوص.

٢٥. كان علماء المالكية رَحِمَهُمُٱللَّهُ موافقين للسلف في الصفات والقدر وفي مسائل الأسماء والأحكام حتى نهاية القرن الرابع الهجري حيث بدأت تظهر بوادر مخالفة السلف في مسائل الاعتقاد.

٢٦. من أسباب الانحراف عند متأخري المالكية: مناصرة الخلفاء والحكام ووزرائهم في انحرافهم والدعوة إليه، ووجود عدد من علماء المالكية اعتمدوا علم الكلام في الرد على المعتزلة والجهمية والباطنية والرافضة، الأمر الذي سهل على العامة قبول الانحراف والتقليد فيه.

٢٧. مر الإرجاء عند المالكية بمراحل انتهت باعتبار القول شرطا لإجراء أحكام الظاهر فقط وهذا القول مخالف لدلالة الكتاب والسنة وما جاء عن متقدمي المالكية وما جاء عن متقدمي مرجئة المالكية.

٢٨. أثر الإرجاء على المتأخرين من المالكية لكن تأثيره متفاوت بحسب القرب والبعد من متابعة الكتاب والسنة وموافقة السلف.

٢٩. انتهى بعض متأخري المالكية إلى قول الأشاعرة والصوفية في القول بالجبر وإنكار تأثير الأسباب.

٣٠. أنكر بعض متأخري المالكية تأثير الأسباب في المسببات ثم التزموا كفر من

خالفهم وهذا مخالف للكتاب والسنة ولازمه فساد الدين والدنيا وسائر الأديان.

٣١. لم يظهر مصطلح التفويض في القرون الثلاثة المفضلة.

٣٢. كل ما نقل عن السلف الصالح والأئمة الأربعة من إقرار نصوص الصفات كما جاءت أو الأمر بترك الخوض فيها فالمراد بها ترك الخوض في كيفياتها لا معانيها كما يزعم أهل التفويض.

٣٣. عرف علماء المالكية التصوف وأعلامه وبينوا للناس وجه الحق والباطل فيه واستمر ذلك حتى عند المتأخرين منهم ممن وافق السلف

٣٤. دخل التصوف في المذهب المالكي بسبب عدة عوامل وقد أدت هذه العوامل إلى تطور التصوف في المذهب المالكي حتى أصبح سلوكا ومنهجا ينص عليه في كتب المتأخرين منهم.

٣٥. غلب على الصوفية الاجتهاد في العبادة مع قلة العلم الشرعي وهو أمر أنكره عليهم المتقدمون من علماء المالكية أنفسهم.

٣٦. ليس هناك علاقة بين متقدمي ومتأخري الصوفية من المالكية إلا في الأسماء فقط.

٣٧. من مظاهر الانحراف في التصوف عند بعض متأخري المالكية: الغلو بالأنبياء أو الأولياء، وصرف بعض أنواع العبادة إليهم والتعلق بكراماتهم، وغير ذلك من المظاهر التي ترجع إلى الشرك الأكبر أو الابتداع في الدين وقد اجتهد جمع من المالكية المتأخرين في الرد عليهم.

كانت هذه أهم نتائج البحث، ولعل من أهم التوصيات ما يلي:

١. ضرورة التنبيه على دور علماء المالكية قديما وحديثا في الرد على المخالفين ومتابعة السلف.

٢. التأكيد على بيان منهج علماء المالكية في حقيقة الإيمان ومسائله والأسماء والصفات والذي وافقوا فيه نصوص الكتاب والسنة وما جاء عن سلف الأمة خلافا لما عليه المتأخرون من أشاعرة المالكية.

٣. ضرورة التأكيد على أن منهج علماء المالكية المتقدمين ومن وافقهم من المتأخرين هو منهج أهل السنة والجماعة الموافق لدلالة النصوص ولا تصح النسبة إلى المخالفين من أهل البدع كالأشاعرة والصوفية.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، ونسأله المزيد من فضله في الدنيا والآخرة، والعفو عما سلف وكان، وصلى الله على نبينا محمد وعلى اله وصحبه وسلم.



فهرس الموضوعات



فهرس الموضوعات

للمجلد الثاني



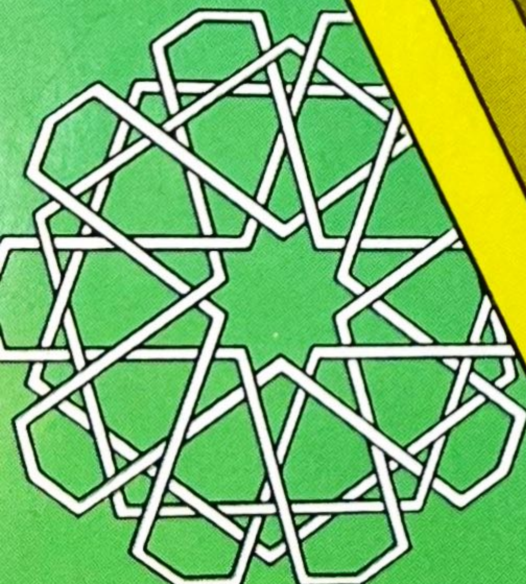
دار العاصمة

٤ ر.س

نحو تصحيح العقيدة ٧

اعتقاد الأئمة الأربعة

أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد



تأليف:

د. محمد بن عبد الرحمن الخميس

سلسلة كتب السنة والاعتقاد (٢)

الجامع

في عقائد ورسائل أهل السنة والأثر

حوى ستين عقيدة من عقائد أهل السنة

جمعه واعتنى به

أبو عبد الله عادل بن عبد الله آل حمدان

عفا الله عنه

دار المنهج الأول للنشر

٤٥ ر.س.

٩

اعتقاد

إمام دار الهجرة أبي عبد الله
مالك بن أنس

(١٧٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ

وفيه:

جمع لأقواله في أبواب السنة والاعتقاد
أصول السنة واعتقاد السلف

سلسلة إصدارات دار المهذب للرسائل العلمية (١)

حقيقة الإيمان وأركانه ونواقضه

عند علماء المالكية

تأليف

د/ ريما بنت مقرن بن محمد الشيخ

أستاذ مشارك في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تقديم

أ.د. سليمان بن صالح الغصن

قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المجلد الثاني





الأثر المشهور عن الإمام مالك رحمه الله في صفة الاستواء

دراسة تحليلية

تأليف

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

الأثر المشهور

مركز سطور للبحث العلمي

دار الإمام مسلم

سلسلة الرسائل الجامعية (١١٥)

المسائل التي نسبها المتكلمون

إلى

الأئمة الأربعة في أصول الدين

عرض ونقد

تأليف

د. عبد العزيز بن أحمد بن محسن الحميدي

دار الفضيلة
السعودية

دار البلد
مصر

رسائل جامعية

براءة الأئمة الأربعة

من مسائل المتكلمين المبتدعة

تأليف

د. عبد العزيز بن أحمد بن محسن الحميدي

دار ابن عفان

جهود المالكية

في تقرير توحيد العبادة

تأليف

د. عبد الله بن فهد بن عبد الرحمن العرفج

دار التوحيد للنشر

سلسلة الرسائل الجامعية (١٠٨)

المسائل العقدية

التي خالف فيها بعض فقهاء المالكية

أئمة المذهب المتقدمين

إعداد

مريم بنت عبد الله سعيد باقازي

المحاضرة بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

دار الهدي النبوي
مصر

دار الفضيلة

الطرائق الصوفية

وآثارها في بلاد الحجاز والمغرب

مجموعٌ فيهِ من مقالاتِ

العلامة الجليل

الدكتور محمد تقي الدين بن عبد القادر الهلالي الفيلالي المغربي

جمع وتعليق وتقديم

أبي محمد سمير سمراد الوهراني الجزائري

دار اللؤلؤة

جهود علماء المالكية

في الرد على الصوفية

جمعاً ودراسة

تأليف

الدكتورة مريم بنت عبد الله سعيد نافري

عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

غفر الله لها ولوالديها ولزوجها ولذريتها وللمسلمين أجمعين

رسالة دكتوراه حصلت على تقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى

دار التوحيد للنشر

أقوال أئمة المالكية

في الصوفية

(أكثر من خمسين ومائة قول لأكثر من ثلاثين إماما مالكيا)

إعداد

عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن يونس

قرأه وقدم له

الشيخ. عبد الرحمن بن حامد آل ثابت

الشيخ. حاتم بن عز الدين بن محمد

الشيخ. د محمد بن عبد الله بن مختار

مكتبة التوبة

فتاوى علماء المالكية

في

تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة

تأليف

د. فاضل بن نور الدين الإمام

دار التوحيد للنشر

الاستشارات الكُتبية
@Cons_books
تابِع

مجموعة بحوث ورسائل علمية

في جهود الإمام مالك والسادة المالكية
في تقرير عقيدة أهل السنة والرد على المخالفين

والشكر
لروائع الكتاب @ebnalqayyam
(دار ابن ابن القيم وابن عفان سابقًا)

على هديتهم
جهود المالكية في الرد على عقائد الشيعة

ودار التوحيد @altawheed_books
على طبعاتهم



٦:٢٢ م · ٢٠٢٤/٥/١٢ · **ألف** من المشاهدات

موقف الإمام مالك
من العقيدة السلفية
٩٣ هـ - ١٧٩ هـ
تأليف الدكتور
محمد بن عبد الرحمن المغراوي
تقديم
الشيخ عبد الله السبت
دار الفتح
الشارقة

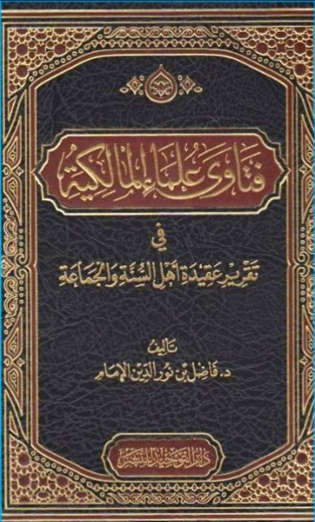
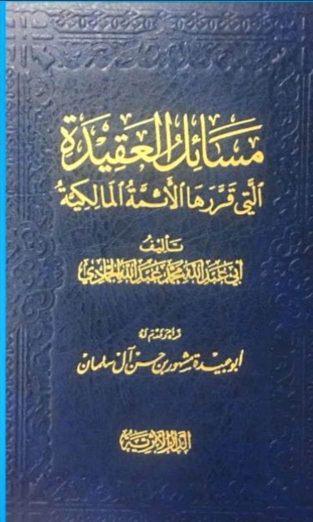
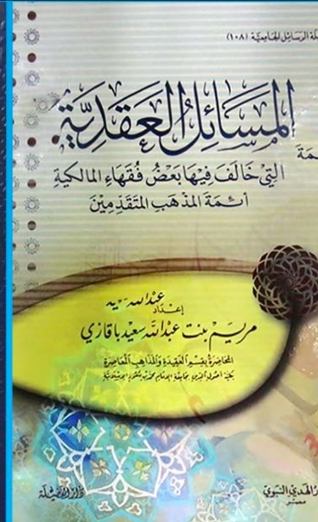
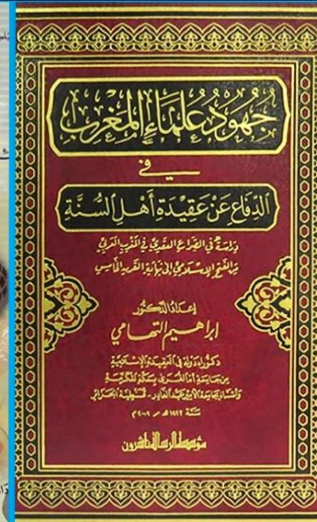
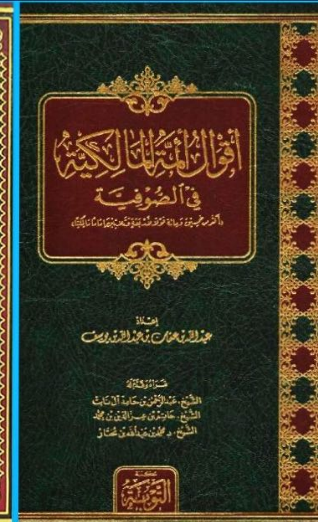
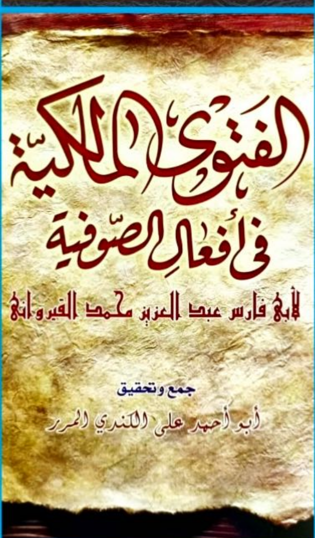
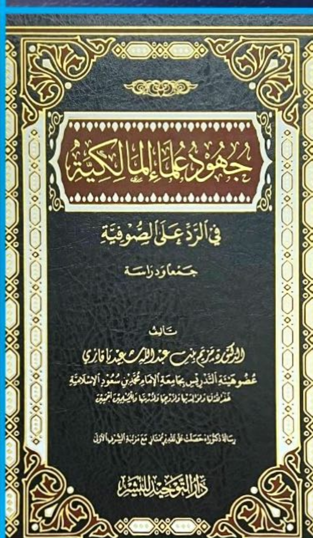
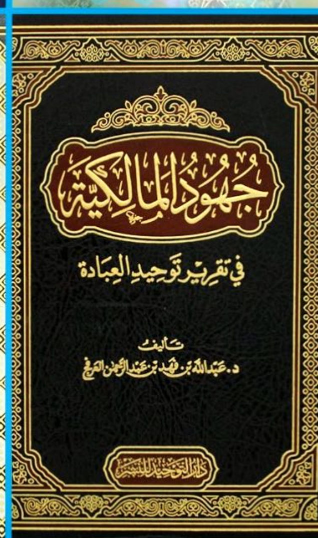
سلسلة العقائد السلفية
٢
عقيدة الإمام مالك
تأليف
الشيخ محمد بن عبد الرحمن المغراوي
مكتبة التراث الإسلامي

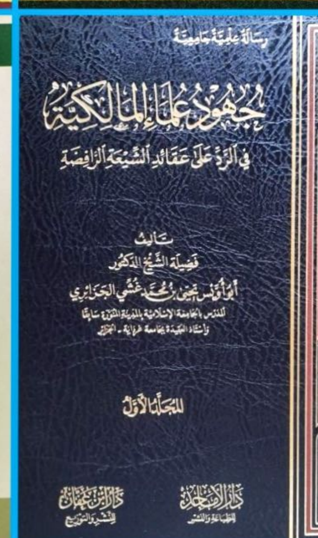
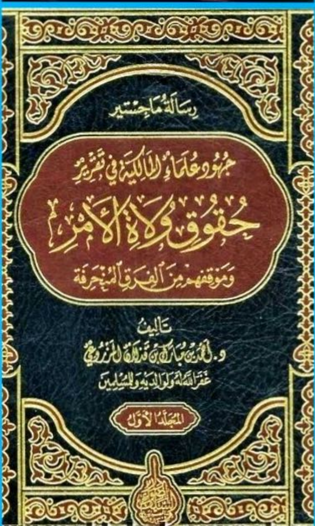
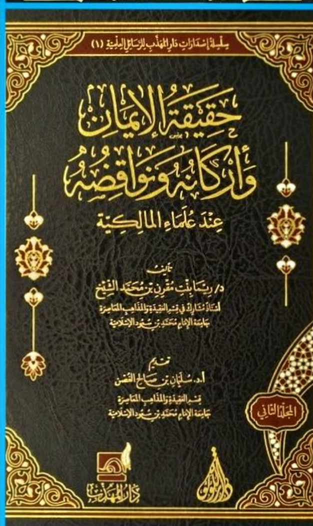
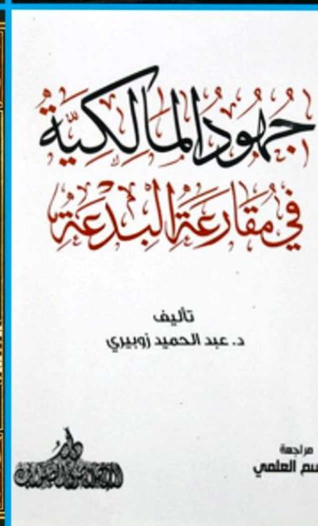
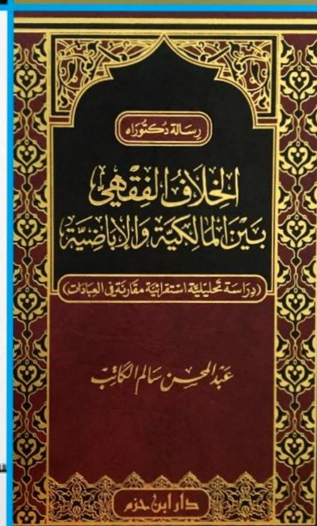
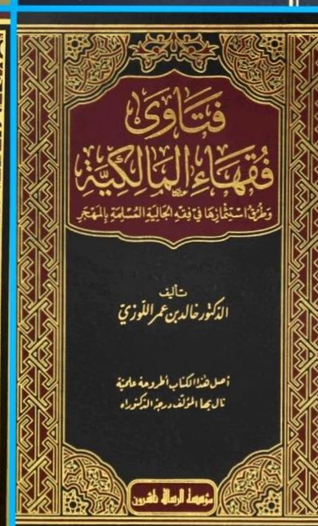
الأثر المشهور عن الإمام مالك رحمه الله في صفة الاستواء
دراسة تحليلية
تأليف
عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر
مركز سطور للبحث العلمي
دار الإمام مسلم

عقيدة الإمام مالك رحمه الله
جمع
د. سعود بن عبد العزيز الدعجان
عضو هيئة التدريس بقسم العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين
بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
ويليه
عقيدة الإمام مالك رحمه الله
للإمام أبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني
الملقب بمالك الصغير المتوفى سنة ٣٨٦ هـ
تحقيق
د. سعود بن عبد العزيز الدعجان


منهج الإمام مالك
رحمه الله تعالى
في إثبات العقيدة
إعداد
سعود بن عبد العزيز الدعجان
تحت إشراف
حماد بن محمد الأنصاري
علي بن عبد الرحمن الحذيفي
عبد الكريم بن مراد الأثري

عقيدة
الإمام مالك
السلفية
تأليف
مصطفى أبو سفيان
دار الضياء


فتاوى علماء المالكية
في
تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة
تأليف
د. فاضل بن نور الدين الإمام

مسائل العقيدة
التي قررها الأئمة المالكية
تأليف
أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان

المسائل العقدية
التي خالف فيها بعض فقهاء المالكية
أئمة المذهب المتقدمين
إعداد
مريم بنت عبد الله سعيد باقازي

جهود علماء المغرب
في
الدفاع عن عقيدة أهل السنة
إبراهيم التهامي
مؤسسة الرسالة ناشرون

أقوال أئمة المالكية
في الصوفية

الفتوى المالكية
في أفعال الصوفية
لأبي فارس عبد العزيز محمد القيرواني
جمع وتحقيق

جهود علماء المالكية
في الرد على الصوفية
جمعا ودراسة
تأليف
دار التوحيد للنشر

جهود المالكية
في تقرير توحيد العبادة
تأليف
دار التوحيد للنشر

حماية علماء المالكية
لجناب التوحيد
د. أحمد ولد محمد ذي النورين

رسالة علمية جامعية
جهود علماء المالكية
في الرد على عقائد الشيعة الرافضة
تأليف
فضيلة الشيخ الدكتور
المجلد الأول

رسالة ماجستير
جهود علماء المالكية في تقرير
حقوق ولاة الأمر
وموقفهم من الفرق المنحرفة
تأليف
المجلد الأول

حقيقة الإيمان
وأركانه ونواقضه
عند علماء المالكية
المجلد الثاني

جهود المالكية
في مقارعة البدعة
تأليف
د. عبد الحميد زوبيري
مراجعة

رسالة دكتوراه
الخلاف الفقهي
بين المالكية والإباضية
(دراسة تحليلية استقرائية مقارنة في العبادات)
عبد المحسن سالم الكاتب
دار ابن حزم

فتاوى
فقهاء المالكية
تأليف
مؤسسة الرسالة ناشرون

المديهش



@IBRAHIM_ALMDEHESH

قناة إبراهيم المديهش العلمية







المديهش

تعديل ملف شخصيّ

قناة المديهش العلمية

@ibrah_almdehesh

حساب ((غير تفاعلي)) يهدف لنشر محتوى قناة إبراهيم المديهش العلمية التيليقرامية t.me/ibrahim_almdeh...

انضمّ في سبتمبر ٢٠٢١

• متابَع ٨٧٢ المتابِعون

المنشورات | الردود | المميزة | المقالات | ال

مُثبّت

المديهش

قناة المديهش العل... · ٢٠٢١/٩/٢٦ ···

#قناة_إبراهيم_المديهش_العلمية في التيليقرام

♦️ قناة علمية تُسامِر (أهل العلم): بكُتُب، ومقالات، وفوائد شرعية وأدبية وتاريخية... من تراث السابقين، ومعه، وبه، وإليه.

🔷 رابط القناة:

t.me/ibrahim_almdeh...